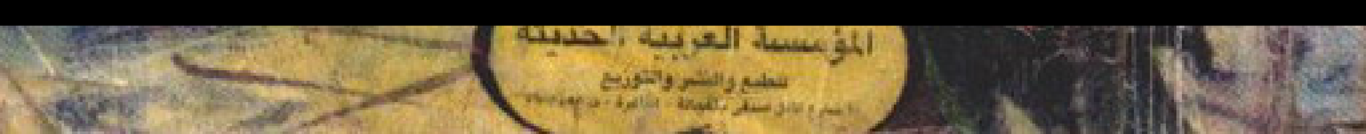
روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

الفخ

108

نبيل فاروق





رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيَّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكُّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدِّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

١ - جزيرة الخطـر ..

جذبت سيارة الإسعاف الكبيرة انتباه الجميع ، فى ميناء (القاهرة) الجوى ، وهى تنطلق عبر مهبط الطائرات ، بصحبة سيارة سوداء ، تحمل لوحة أرقام صغيرة ، وتتوقفان معًا عند طائرة خاصة ، وصلت على الفور من الولايات المتحدة الأمريكية ، وتعلّقت العيون بتلك الطائرة ، التى صعد إليها اثنان من المسعفين ، يحملان محفةً كبيرةً ، على نحو جعل أحد العاملين بالمطار يقول فى سخرية :

- آه .. يبدو أنه واحد من القطط السمان .

التفت إليه زميله فى دهشة قائلاً :

- القطط السمان ؟!.. ما الذى يعنيه هذا المصطلح العجيب ؟!

أجابه الأوّل ، بنفس اللهجة الساخرة :

- ألا تذكر المصطلح يا رجل ؟!.. لقد تردّد طويلاً فى السبعينات ، إشارة لأولئك الذين امتطوا الموجة الأولى للانفتاح ، وأثروا ثراءً فاحشًا مباغتًا ، على حساب

الشعب وقوت يومه(*) .

هزَّ زميله رأسه ، قائلاً :

- يالك من حاقد قاس !!.. هذه الفئة لم يعد لها وجود فى المجتمع يارجل .

أطلق الأوَّل ضحكة عصبية ساخرة قصيرة ، قبل أن يشير إلى الطائرة ، قائلاً :

- حقا ؟!.. ماذا تسمى هذا إذن ؟

بدت الدهشة على وجه زميله ، وهو يتطلَّع إلى المسعفين ، اللذين يهبطان من الطائرة فى صعوبة ، وهما يحملان شخصًا بدينًا ضخمًا على المحفة ، يلوِّح بذراعيه ، ويصرخ طوال الوقت فى غضب ، وقال فى جدية :

- هذا ليس أحد القطط السمان بالتأكيد .

ثم استعار ضحكة رفيقه الساخرة ، وهو يستطرد :

- إنه فيل إفريقى أصيل .

اشترك الاثنان فى ضحكة عالية مجلجلة ، دون أن يتصوَّر أحدهما لحظة واحدة ، أن ذلك الضخم البدين هو أمهر وأبرع مزوِّر رسمى فى (مصر) ..

(*) حقيقة .

بل وربما فى العالم أجمع ..

إنه (قدرى) ..

(قدرى) ، الذى عاد مرغمًا من الولايات المتحدة الأمريكية ، بعد إصابته هناك ، مع تلك الحرب ، التى اشتعلت بين (أدهم) وعشرات القوى هناك ..

وتحت قيادة مشتركة واحدة ..

(السنيورا) ..

تلك الأفعى الغامضة ، التى تختفى فى قصرها السرى فى صحراء (المكسيك) ، وتطلق كل قتلة الدنيا خلف (أدهم صبرى) ..

وكوسيلة لإبقائه فى (نيوريورك) ، حتى يستعد اتحاد القتلة ، بقيادة (توماس كلارك) للقضاء عليه ، دفعت (السنيورا) بعض رجالها لاختطاف السفير المصرى وزوجته ، وإخفائهما فى مكان مجهول ، لكسب المزيد والمزيد من الوقت ..

وفى سبيل البحث عن السفير وزوجته ، خاض (أدهم) وزميلته الجديدة (جيهان) عشرات المعارك والقتال تلو الآخر ، واضطرا لمواجهة فرقة قتل انتحارية ، من الفرق الخاصة للمخابرات الأمريكية ،

بقيادة الجنرال (جيمى تورنسول)(*) ، والمباحث الفيدرالية الأمريكية ، متمثلة فى المفتش (دين هاتكس)، بالإضافة إلى اتحاد القتلة كله ..

وكخطوة إضافية ، أرسلت (السنيورا) رجالها لاختطاف (منى) ، وهى راقدة فى غيبوبتها العميقة ، للضغط على (أدهم) أولاستخدامها كوسيلة نجاة أو كسلاح أخير عند اللزوم ..

وجُن جنون (أدهم) ، عندما علم بهذا ، وانطلق كالوحش الكاسر ؛ ليبحث عن زميلته ، وقاده الصراع والقتال إلى (خوزيه ماسياس) ، أحد الرجال الذين اشتركوا فى عملية اختطاف السفير وزجته ، وعلم أنه سيلتقى بوسيط كولومبى ، من أجل صفقة مخدرات ، فى تمثال الحرية ..

وفى نفس الوقت ، الذى حصل فيه (جيمى تورنسول) على تصريح خاص من وزير الدفاع الأمريكى ، باستخدام أحدث الأسلحة ، والمعروفة باسم (مشروع السوبرمان) ضد (أدهم صبرى) شخصيًا ، كان هذا الأخير يتجه مع زميلته (جيهان) إلى تمثال الحرية ؛ للإيقاع بالمجرم (خوزيه ماسياس) ، دون

(*) راجع قصة (عقارب الساعة) .. المغامرة رقم (١٠٥).

أن يدركا أن اتحاد القتلة قد أعدّ لهما فخًا هناك ..

فخًا محكمًا ، ربما يصبح بداية لأضخم المعارك فى حياة رجل المستحيل ..

وآخرها(*) ..

* * *

على الرغم من عشرات اللافتات ، داخل تمثال الحرية ، والتى تشير إلى أن المكان صديق للبيئة ، ومعارض للتلوث بكل أنواعه ، مع رجاء مهذب بالامتناع عن التدخين ، أشعل (خوزيه ماسياس) سيجارته ذات الرائحة النفاذة ، ونفث دخانها فى قوة ، وهو يتجه نحو رجل ضخم الجثة ، هائل الحجم ، بدا أشبه بالغوريلا ، على الرغم من حلته الثمينة ، ورباط عنقه المشتعل بالألوان الصارخة ، ويتوقف أمامه ، قائلاً بلهجته المكسيكية ، وصوته الأجش الغليظ :

- أهلاً أيها الكولومبى.. هل تنتظر منذ فترة طويلة ؟

انعقد حاجبا الضخم فى غضب ، وتوتر بشدة ، وهو يتلفت حوله ، قائلاً :

(*) لقراءة التفاصيل كاملة ، ارجع إلى الجزأين الأول والثانى (الأفعى) و(اتحاد القتلة) .. المغامرتين رقم (١٠٦) و (١٠٧) .

ـ ولم لا ترفع صوتك أكثر من هذا ، أو تستخدم مكبرًا للصوت ، مع إعلان فى (نيويورك تايمز) حول الصفقة وترتيباتها ..

قهقه (خوزيه) بصوت أجش منكر ، قبل أن يلوك طرف سيجارته فى فمه ، وينفث المزيد من دخانها قائلاً فى سخرية :

ـ لا داعى لأن ترتجف خوفًا هكذا يارجل .. تبدو مضحكًا وأنت تفعل هذا ، مع قامتك الضخمة .

ازداد انعقاد حاجبى الضخم ، وهو يقول فى حدة :

ـ فليكن .. اصمت وإلا رحلت عن هنا فورًا ، دون إتمام الصفقة .

لكزه (خوزيه) بمرفقه فى جانبه ، وهو يقول بأسلوب مستفز :

ـ المشكلة أنه لن يمكنك أن ترحل ، قبل وصول الزورق التالى .. أليس كذلك ؟

قالها وقهقه ضاحكًا مرة أخرى ، على نحو بدا مقززًا ، بالنسبة للفوج الذى يشاهد التمثال من الداخل ، فقلبت سيدة شفتيها فى امتعاض ، جعل (خوزيه) يصيح فى وجهها بغلظة :

ـ لو أن أسلوبى يضايقك ، فاذهبى إلى الجحيم يا جميلة الجميلات .

جذبه الكولومبى فى حدة ، قائلاً :

ـ ما الذى تسعى إليه بالضبط يا رجل ؟!.. أن تجذب إلينا أنظار طاقم الأمن كله ؟!.. هل جننت ؟!

التفت إليه (خوزيه) فى غضب ، هاتفًا :

ـ إياك أن تنطقها .

ثم التصق به ، مستطردًا فى عصبية أقرب إلى الجنون:

ـ إننى أقتل كل من يلفظ بحرف واحد منها .

تراجع الضخم فى حركة عنيفة ، وتصبب على وجهه عرق غزير ، وهو يتلفت حوله مغمغمًا فى توتر بالغ :

ـ أى رجل أنت ؟.. أى رجل ؟!

وضع (خوزيه) الحقيبة التى يحملها إلى جوار الكولومبى ، قائلاً :

ـ مادمت جبانًا إلى هذا الحد ، فالأفضل أن ننهى الصفقة ونرحل .. خذ .. هذه هى الملايين الأربعة .. أعطنى المسحوق .

جفف الكولومبى عرقه فى عصبية ، وهو يدفع حقيبته نحوه بدوره ، مغمغمًا :

ـ إنها آخر مرة أتعامل فيها معك .. أنت مختل عقليًا بالتأكيد .

صاح به (خوزيه) فى حدة ، وهو يمد يده لالتقاط حقيبة المخدرات :

- قلت لك : لا تنطقها ، وإلا ..

قبل أن يتمّ عبارته ، قبضت أصابع فولاذية على معصمه ، ومنعت يده من الوصول إلى مقبض الحقيبة ، مع صوت صارم يقول بالأسبانية :

- الرجل على حق .. أنت مختل العقل فعلاً .

تراجع الكولومبى فى ذعر ، فى حين التفت (خوزيه) إلى صاحب الصوت ، وهو يستلّ خنجراً من حزامه بيسراه ، هاتفا :

- وما شأنك أنت ؟

فوجئ بلكمة كالقنبلة فى معدته ، فانثنى بحركة تلقائية ، وهو يطلق شهقة عنيفة ، ولكن أصابع قوية قبضت على شعره المجعّد الطويل ، وأجبرته على الاعتدال ، مع ذلك الصوت الصارم ، وهو يقول :

- لى شأن كبير أيها الوغد .

استدار الكولومبى ، وحمل حقيبة النقود ، وانطلق محاولاً الفرار ، إلا أن قدمه ارتطمت بقدم أنثوية اعترضت طريقها ، وسمع صوتاً ناعماً ساخراً يقول :

- إلى أين أيها الغوريلا .

فقد الكولومبى توازنه ، وطار جسده فى الهواء ، وسط صراخ وشهقات الموجودين ، ثم سقط على وجهه فى عنف ، وبدوى ضخم ، كما لو أن تمثال الحرية كله سينهار ..

وسادت موجة من الذعر فى المكان ، واندفع الجميع نحو المصاعد ، فى محاولة لمغادرة قمة التمثال ، حيث يدور القتال ، فى حين اندفع رجال الأمن الثلاثة فى الاتجاه المعاكس ، وهم يستلّون مسدساتهم ، هاتفين :

- توقّفوا .. غير مسموح بالقتال هنا .

ولكن (خوزيه) صرخ فى غضب ، محاولاً رفع خنجره :

- سأقتلك يا رجل .. سأقتلك .

لم يكد يتمها ، حتى انفجرت قبضة قوية فى أنفه ، وأزالته تقريبًا من الوجود ، قبل أن تتراجع بسرعة ، وتعود لتنقضّ على فكه ، وتطيح باثنتين من أسنانه وأحد أنيابه ..

وفى نفس اللحظة كان الكولومبى ينتزع مسدسه ، صارخا فى (جيهان) :

- ابتعدى عنى .. ليس من حقك أن ..

قاطعته ، وهى تركل مسدسه فى حركة سريعة ، قائلة فى سخرية :

- ليس من حقى ماذا ؟!

شهق الكولومبى ، عندما فقد مسدسه ، وحاول أن ينهض هاربًا ، ولكن (جيهان) ركلته فى مؤخرته بقوة ، فألقته على وجهه ثانية ، وهى تقول :

- إلى أين يا غوريلتى العزيزة .

اصطدم أنف الرجل بالأرض ، فتحطّم بدوره ، وانطلقت الدماء تغمر وجهه ، فى نفس اللحظة التى أحاط فيها رجال الأمن الثلاثة بـ (أدهم) و(جيهان) ، وصوّبوا إليهما مسدساتهم ، ورئيسهم يهتف فى غضب :

- ماذا يحدث هنا بالضبط ؟!

أبرز (أدهم) بطاقة المخابرات الزائفة بسرعة ، وهو يقول :

- (تيم بارتون) من المخابرات المركزية الأمريكية.

بدت الدهشة على وجوه رجال الأمن الثلاثة ، وقال أحدهم متعجبًا :

- المخابرات المركزية ؟!.. أهى قضية تجسّس ؟

ركل (أدهم) الحقيبة بقدمه ، قائلاً :

- بل قضية مخدرات يا رجل .

هتف رجل أمن آخر :

- وما شأن المخابرات بقضايا المخدرات ؟

تجاهل (أدهم) السؤال تمامًا ، وهو يقبض على سترة (خوزيه) ، ويجبره على النهوض ، وهو يميل نحوه ، قائلاً بالأسبانية :

- أين السفير وزوجته ؟

حدّق (خوزيه) فى وجهه بدهشة ، وغمغم :

- السفير ؟!

هوت قبضة (أدهم) على معدته كالقنبلة ، فأطلق شهقة قوية ، وتناثرت الدماء من أنفه وفمه ، على معطف (أدهم) ، الذى كرّر سؤاله بالأسبانية :

- أين السفير وزوجته ؟!

هتف أحد رجال الأمن معترضًا :

- ما الذى تفعله يا رجل ؟

أشارت إليه (جيهان) فى صرامة قائلة :

- لا تتدخل يا رجل .. ألقِ القبض على هذا الكولومبى ، وسلّمه لرجال الشرطة .. هيا .

تردّد الرجل لحظة ، ثم اندفع ينفذ أمرها مع زميل له ، فى حين وقف الثالث متردّدًا ، يراقب (أدهم) و(خوزيه) يرتجف فى قبضته ، قائلاً بالأسبانية :

- لا.. لا يمكننى أن أخبرك .. إننى ..

أخرسته لكمة أكثر قوة ، خيّل إليه أنها قد اخترقت

معدته ، وبلغت عموده الفقرى ، وارتطمت به كسيارة مسرعة ، فتفجرت فيه الآلام المبرحة ، وتصاعدت منه إلى رأسه وكتفيه ، وصرخ فى ألم رهيب ، و(أدهم) يكرِّر فى صرامة أشدّ :

ـ أين هما ؟!

لهث (خوزيه) فى شدة ، وزايله كل غروره وغطرسته ، وهو يلوِّح بيديه مسترحمًا ، ويجيب :

ـ هناك .. فى (هارلم) .

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يكرِّر :

ـ (هارلم) .

لم يكن يروق له بالتأكيد أن يتمّ احتجاز السفير وزوجته فى أكثر أحياء (نيويورك) خطورة وشراسة ، بين أعتى اللصوص ، وأبشع التنظيمات الإجرامية العشوائية ، وأصعب وأقسى الشوارع والطرقات ..

لم يكن يروق له هذا أبدًا ، وعلى الرغم من هذا ، فقد سأل الرجل :

ـ أين بالتحديد ؟!

لهث (خوزيه) فى شدة أكثر ، وهو يدلى له بالعنوان التفصيلى ، فى حين انزوى رجل الأمن الثالث فى ركن المكان ، والتقط جهاز اللاسلكى الخاص به ، وهو يقول :

ـ هنا (فردريك) من الأمن .. إننا نعانى بعض المشكلات هنا ، ولدينا رجل مخابرات يدعى (تيم بارتون) ، يتصدى لصفقة مخدرات ولست أشعر بالارتياح لموقفه هذا ، وخاصة للطريقة التى يستجوب بها المتهمين .. أريد التحقُّق من شخصيته على الفور .

ولم يكد يتمّ عبارته ؛ حتى ارتفع صوت أحد زميليه ، وهو يشير إلى (أدهم) ، هاتفًا فى توتر :

ـ رباه !.. أنا أعرف هذا الرجل .. لقد رأيت صورته على شاشة (التلفزيون) .

مطَّت (جيهان) شفتيها ، وقالت :

ـ آه .. نظريتك فشلت أيها الرئيس .

وفى نفس اللحظة حدَّق (خوزيه) فى وجه (أدهم) ، وصرخ :

ـ نعم .. أنا أيضًا أعرفه .. إنه ليس رجل مخابرات .

هبَّ رجال الأمن الثلاثة بسرعة ، وصوَّبوا أسلحتهم نحو (أدهم) وأحدهم يهتف :

ـ تعرَّفتك يا رجل .. إنهم يذيعون صورتك طوال النهار .. ارفع يديك وإلا ..

ولم يجد الوقت ليتمّ عبارته ..

ففى نفس اللحظة التى نطقها فيها ، كان (أندريه كال) يطلق قنبلة يدوية ، من مدفع خاص على ظهر اليخت ، الذى يحوم حول جزيرة تمثال الحرية ، لتشق طريقها فى الهواء وتسقط داخل رأس التمثال ، حيث يقف (أدهم) و(جيهان) ورجال الأمن الثلاثة و(خوزيه) والكولومبى ..

وقبل أن يتمّ رجل الأمن عبارته ، اخترقت القنبلة الزجاج ، وسقطت وسط المكان بالضبط ، فحدقت فيها كل العيون ، وصرخ أحد رجال الأمن :

ـ رباه !.. إنها قنبلة ..

وفى اللحظة التالية مباشرة ، دوى الانفجار ..

أعنف انفجار شهده تمثال الحرية ، فى حياته كلها ..

* * *



٢ ـ انفجار ..

لوّح (قدرى) بذراعيه ، وهو يهتف فى حنق غاضب :

ـ لم يكن من حقكم أن تفعلوا هذا .. كان ينبغى أن أبقى إلى جوار (أدهم) .. ربما يحتاج إلىّ هناك .

ربّت رجل مخابرات مصرى على كتفه ، قائلا :

ـ اهدأ يا (قدرى) .. اهدأ يا رجل .. وجودك هنا يفيد (أدهم) بأكثر مما يفيده بقاؤك إلى جواره هناك .. إنه يحتاج إلى حرية الحركة .. لا تجعل إصابتك تقيّده هناك .

ترقرقت عينا (قدرى) بالدموع ، وهو يقول :

ـ ولكنه احتاج إلىّ بالفعل .

أجابه رجل المخابرات :

ـ ولكنه اضطر لتسليم نفسه ؛ ليحميك أنت و(منى) .

بكى (قدرى) بدموع حارة ، قائلا :

ـ ثم اختطف الأوغاد (منى) .

تنهّد رجل المخابرات ، وهو يقول :

ـ إنه يبذل قصارى جهده لاستعادتها ، ولا ينبغى أن

نضع أية عقبات فى طريقه .

تضاعفت دموع (قدرى) ، وبكت كلماته على شفتيه ، وهو يغمغم :

ـ إذن فهذا ما أصبحته .. مجرد عقبة فى طريق أصدق أصدقائى .

ابتسم رجل المخابرات متعاطفًا ، وربت على كتفه ثانية ، وهو يقول :

ـ من قال إنك كذلك ؟!.. أنت أبرع رجل رأيته فى حياتى كلها ، فى مجال التزييف والتزوير .. هل نسيت تلك الهويّة الإسرائيلية ، التى زوّدتنى بها ، فى أثناء عملية طوّافة البترول ؟!.. لقد راجعها الإسرائيليون أكثر من ثلاث مرات ، دون أن يتطرّق إليهم الشكّ فى صحتها قط .

غمغم (قدرى) فى حزن :

ـ كان هذا فيما مضى .

هزّ رجل المخابرات رأسه ، قائلاً فى حماس :

ـ وحتى هذه اللحظة .. لقد وصلنا تقرير عما فعلته هناك ، وعن ذلك التصريح ، الذى صنعته لـ (أدهم) فى إتقان شديد ، حتى إن المدير أصدر قراره بعودتك إلى معملك ، اعتبارًا من صباح الغد .

خفق قلب (قدرى) فى قوة ، وهو يقول :

ـ إننى لم أغادر معملى قط .. لقد توليت عملية تدريب الشباب الجدُد ، و ...

قاطعه رجل المخابرات بابتسامة كبيرة :

ـ غدًا ستعود إليه بنفس صفتك القديمة .

ثم مال نحوه ، هامسًا :

ـ كبير خبراء التزييف والتزوير .

هتف (قدرى) فى سعادة جمة :

ـ حقًا ؟!.. حقًا ؟!.. وهل أستحق هذا ؟!

ربّت رجل المخابرات على كتفه للمرة الثالثة ، قائلاً فى حزم :

ـ أنت تعلم أنه لا مجال للعواطف أو المجاملات فى عملنا يا رجل .. ومادمت قد استعدت منصبك ، فأنت تستحقه حتمًا .. وعن جدارة .

انهمرت الدموع كالسيل من عينى (قدرى) ، وهو يقول :

حمدًا لله .. حمدًا لله .

ثم عاد يرفع عينيه إلى رجل المخابرات ، مستطردًا :

ـ ولكن ماذا عن (أدهم) ؟

همّ رجل المخابرات بقول شىء ما ، عندما ارتفع

رنين الهاتف المجاور لفراش (قدرى) فالتقط سمّاعته ، وقال :

ـ من المتحدّث ؟!

ـ ولم يكد يسمع صوت محدثّه ، حتى ارتفع حاجباه فى دهشة ، ثم لم يلبث أن ابتسم ، وناول السمّاعة لـ (قدرى) ، قائلا :

ـ إنها مضيفة طيران .. اسمها (هبة) ، وتريد التحدُث إليك .

تهلّلت أسارير (قدرى) ، واختطف السمّاعة فى لهفة ، وهو يقول :

ـ اهلا يا (هبة) .. كيف حالك ؟!.. كنت أنتظر محادثتك هذه .

أجابته بصوتها الناعم الرقيق :

ـ كنت أريد الاطمئنان إلى أنك قد وصلت إلى منزلك بخير .

همس فى حنان :

ـ أنا بخير حال ، مادمت أسمع صوتك الجميل .

تطلّع إليه رجل المخابرات بابتسامة واسعة ، ثم انسحب من حجرة النوم فى خفة ، وأغلق بابها خلفه مغمغمًا :

ـ هذا ما تحتاج إليه بالفعل يا (قدرى) ..

وغادر المنزل كله ، بعد أن أوصى الممرض المرافق بضرورة العناية بـ (قدرى) ، وتنفيذ تعليمات الأطباء ، وكرّر أوامره لرجل الحراسة باليقظة الدائمة ، واستقل سيارته وعقله منشغل بسؤال واحد ، راح يلحّ عليه بلا توقُّف ..

تُرى كيف يواجه (أدهم) موقفه المعقّد ، فى الولايات المتحدة الأمريكية ؟!..

كيف ؟!..

كيف ؟!..

* * *

لحظة واحدة ، كانت تفصل ما بين الجميع والموت المحتم ، عندما تنفجر القنبلة ، فى ذلك المكان المحدود ، فى قمة تمثال الحرية ..

لحظة واحدة تجمّدت فيها الدماء فى عروقهم ، وتصلّبت خلالها عضلاتهم ، واتسعت عيونهم المذعورة ، وهم يحدقون فى القنبلة ، التى تتدحرج داخل المكان استعدادًا للانفجار ..

لحظة تحوّل فيها الجميع إلى تماثيل مذعورة ..

الجميع ، فيما عدا واحدًا ..

(أدهم صبرى) وحده الطلق عقله يعمل بسرعة البرق ، ويستوعب الموقف كله فى جزء من الثانية ، منذ اللحظة التى اخترقت فيها القنبلة اليدوية الزجاج ..

وعندما سقطت القنبلة فى وسط المكان ، وتدحرجت أرضًا ، كان قد أدرك جيدًا ما ينبغى فعله ، وقفز نحوها بخفة وسرعة مدهشتين ، وانحنى يلتقطها ، و(جيهان) تصرخ :

ـ لا .. لا يا (أدهم) .

ولكنه اعتدل بنفس السرعة ، وقذف القنبلة بكل قوته ؛ لتخترق الزجاج ثانية وتطير لمترين فى الهواء ، مبتعدة عن المكان ..

ثم انفجرت(*) ..

انفجرت على مسافة مترين ، بدوى عنيف للغاية ، وأطلقت موجة من التضاغط ، تحطم معها زجاج المكان كله ، واندفع بها رجال الأمن ؛ ليرتطموا بجدران المصاعد فى عنف ، فى حين سقط (خوزيه) أرضًا ، وتدحرج الكولومبى فى قوة ..

(*) بخلاف ما يتصوره العامة ، فالقنابل اليدوية لا تنفجر لارتطامها بالأشياء ، وإنما تنفجر عند حدوث تفاعل خاص ، بعد مرور فترة محدودة من انتزاع فتيلها ،وبدء التفاعل .

أما (أدهم) ، فقد ألقى القنبلة ، وقفز يدفع (جيهان) أمامه ، هاتفًا :

ـ ابتعدى .

وعندما دوى الانفجار ، انتفض جسدها كله فى عنف ، وهتفت :

ـ لقد حميتنى بجسدك .. أنت حميتنى بجسدك يا (أدهم) .

كان زوار التمثال ، الذين فروا من قمته ، واستقلوا المصاعد إلى قاعدته ، قد شاهدوا الانفجار ، وشعروا بموجته التضاغطية ، فأصابهم رعب هائل ، وراحوا يجرون مذعورين فى كل مكان ، باحثين عن وسيلة فرار من الجزيرة ، مع غياب الزوارق السياحية ، وانطلقت صرخاتهم ، التى بلغ جزء ضئيل منها قمة التمثال ، مع ارتفاعه الشاهق ، فهب (أدهم) واقفًا ، وهو يجذب (جيهان) ، ليعاونها على النهوض ، هاتفًا :

ـ أسرعى .

كان يدرك جيدًا أن الذين ألقوا القنبلة الأولى ، لن يترددوا فى إلقاء ثانية ، وثالثة ، ورابعة ..

بل لن يعنيهم أن ينسفوا تمثال الحرية نفسه ، لو أن هذا يحقق غرضهم المنشود ..

وهو يعرف هذا الغرض ..

يعرفه جيدًا ..

ولقد أطاعته (جيهان) على الفور ، وهو يجذبها من يدها نحو سلم الطوارئ ، وهتفت فى حرارة ، تحمل نبرة سعادة واضحة ، بدت شديدة الغرابة ، بالنسبة للموقف ودقته :

ـ حميتنى بجسدك ، وأنت تؤكِّد أنك لا تحبنى .. ماذا كنت ستفعل إذن ، لو أنك غارق فى حبى ؟

تجاهل سؤالها تمامًا ، وأدهشه أن تفكر فى أمر كهذا ، فى ظل هذه الظروف ، واندفع معها نحو مخرج الطوارئ ، فى حين قفز (خوزيه) يلتقط مسدس الكولومبى ، ويصوِّبه إليهما ، صارخًا :

ـ لن تفلت يا رجل .. سأقتلك جزاء ما فعلته بى .

وجذب إبرة المسدس فى غضب ، و ...

وسقطت قنبلة ثانية فى المكان ..

وعندما اتسعت عينا (خوزيه) فى رعب ، دفع (أدهم) (جيهان) عبر المخرج ، صائحًا :

ـ أسرعى بالله عليك .

ومع آخر حروف كلماته ، دوى الانفجار ..

كان انفجارًا عنيفًا كسابقه ، دفعهما أمامه فى قوة ، فسقط على درجات سلم الطوارئ ، ولفحتهما موجة من اللهب ، وهما يتدحرجان فوق درجات السلم على نحو عنيف ، قبل ان يستقرا فى منطقة دوران السلم ، وهتفت (جيهان) :

ـ رباه .. أشعر وكأننى بطة نجت بمعجزة من فرن مستعر ، بعد أن تحطمت كل عظمة فى جسدها .

نهض (أدهم) بسرعة ، وجذبها من يدها ، صائحًا :

ـ سيشتعل الفرن ثانية ، وربما تشوى البطة هذه المرة ، لو لم تبادر بالفرار بأقصى سرعة .

راحا يقفزان فى درجات السلم معًا ، محاولين الهبوط بأقصى سرعة ، على حين انفجرت من خلفهما القنبلة الثالثة ..

ومن الميناء ، انطلقت أربعة زوارق لانتشال زوَّار التمثال ، الذين انتابتهم موجة هائلة من الذعر والفزع فى الجزيرة ، وألقى بعضهم نفسه فى الماء ، محاولا النجاة من تلك الانفجارات ، التى لم يفهموا لها سببًا ، أو يدركوا طبيعتها ..

أما (توماس) ، فقد شمله انفعال جارف ، وهو يراقب الانفجارات بمنظاره المقرِّب ، من مكمنه فى الميناء ، ورفع جهاز الاتصال اللاسلكى إلى شفتيه ، وهو يسأل :



راحا يقفزان على درجات السلم معًا ، محاولين الهبوط بأقصى سرعة ، في حين انفجرت من خلفهما القنبلة الثالثة ..

- (أندريه) .. (تيد) .. هل ظفرتما بالصيد ؟!

أجابه (أندريه) على الفور :

- إنه وزميلته لم يغادرا التمثال بعد يا (توم) .. (تيد) يراقب المكان جيدًا ، وأنا أطلقت ثلاث قنابل ، حتى هذه اللحظة .. هل تعتقد أنه من الممكن أن ينجو ذلك الشيطان من ثلاث قنابل حارة ؟!

انعقد حاجبا (توماس) ، وهو يجيب :

- ذلك الرجل يمكنه أن ينجو من الجحيم نفسه يا (أندريه) ، فلا داعى للتفاؤل ، قبل أن ينتهى الأمر تمامًا .

أتاه صوت (جيسون) ، وهو يقول فى حنق :

- وماذا عنى أنا يا (توم) ؟!.. هل سأكتفى بحمل بندقيتى ، ومراقبة ما يحدث ؟!

أجابه (توماس) فى حزم :

- كلاً يا (جيمس) .. إنك هنا كخط هجوم ثان ، فلو نجا ذلك الشيطان من (أندريه) و(تيد) ، ونجح فى العودة إلى الشاطئ ، سيكون عليك أن تصطاده ببندقيتك .

قهقه (أندريه) ضاحكًا ، وهو يقول :

- هذا يعنى أن (جميس) سيظلّ بلا عمل حتمًا .

قال (توماس) فى صرامة :

- سنرى .

كانت الزوارق تحمل الزوار فى هذه اللحظة ، وتعود بهم إلى الميناء ، فى حين تنطلق زوارق الشرطة نحو الجزيرة لاستطلاع الأمر ، فسأل (أندريه) :

- (توم) .. دعنا نفترض أن الشيطان وزميلته قد نجيا من قنابلى ، ووقعا فى قبضة الشرطة .. ما الذى ينبغى عمله عندئذ ؟

انعقد حاجبا (توماس) ، ولاذ بالصمت لحظة ، قبل أن يجيب فى صرامة :

- انسف زورق الشرطة بهما .

حمل صوت (أندريه) الكثير من الجذل ، وهو يقول :

- رائع .. أنا أميل كثيرًا لهذا الطراز من العمل .

قالها ، وجلس ينتظر مع زميله ظهور (أدهم) و(جيهان) ، لو أنهما على قيد الحياة ..

لقد تم إحكام الفخ هذه المرة ، ولم يعد هناك أمل فى النجاة ..

أى أمل ..

* * *

مطّ المفتش (دين هانكس) شفتيه فى ضيق ، وهو يتطلّع إلى آثار التدمير الواضحة فى منطقة الجريمة ، قبل أن يغمغم فى حنق :

- هذا ما كنت أتوقّعه .. تدمير شامل .. لا أحد يمكنه أن يفعل هذا ، فى منطقة كهذه ، سوى (أدهم صبرى) .

قلب زميله كفيه ، قائلاً :

- والعجيب أن أحدًا لا يرغب فى الإدلاء بأية معلومات عما حدث !.. إنهم يرفضون حتى الاعتراف بأن شخصًا واحدًا فعل بهم كل هذا ؛ فالأمر يحطّ من كرامتهم كثيرًا .

قال (هانكس) فى شىء من الحدة :

- هذا طبيعى ، فى مثل هذه الأوساط .

ثم أطلق من أعمق أعماق صدره زفرة حارة ، قبل أن يستطرد :

- إذن فقد فقدنا أثر (أدهم صبرى) هنا .. يا للسخافة !.

ذلك الرجل يسبقنا دائمًا بخطوة ، ونحن نلهث فى محاولة اللحاق به ، دون أن نظفر بنصر واحد دائم .

كان زميله يهمّ بشرح وجهة نظره ، فى هذا الشأن ، عندما اندفع نحوهما أحد رجال الشرطة ، قائلاً فى انفعال :

- هنـاك معركة تدور عند تمثال الحريـة يا سيادة المفتش .

التفت إليه (هانكس) فى حركة حادة ، وهو يقول :

- تمثال الحرية ؟!

قال الشرطى بسرعة :

- نعم يا سيادة المفتش .. فى البداية أبلغ أحد رجال الأمن فى التمثال طاقم أمن الميناء ، أن أحد رجال المخابرات ، ويدعى (تيم بارتون) قد ..

قاطعه (هانكس) بصيحة هادرة :

- (تيم بارتون) .. يا إلهى !.. إنه هو .

ثم التفت إلى زميله ، مستطردًا :

- إنه هو يا رجل .. هو الوحيد الذى يمكنه أن يشعل النيران فى تمثال الحرية نفسه .. أسرع بالله عليك .. اطلب هليوكوبتر فورًا .

قال زميله فى دهشة :

- هليوكوبتر ؟!

أجابه (هانكس) فى انفعال :

- نعم .. هليوكوبتر حربية ، مزودة بمدفعين آليين ، وقاذف صواريخ على الأقل .. أسرع يا رجل .. أسرع وإلا خسرنا مرة أخرى تلك الخطوة ، التى تفصلنا عن ذلك الرجل .. أسرع .

أسرع زميله يستدعى الهليوكوبتر ، فى حين انعقد حاجبا (هانكس) نفسه فى شدة ، وهو يقول فى انفعال :

- ابق على قيد الحياة ، حتى أصل إليك يا (أدهم) .. افعلها يا رجل .. افعلها مرة من أجلى ..

قالها ، وجسده كله ينتفض من فرط الانفعال .. والقلق ..

* * *

اندفعت مساعدة (السنيورا) إليها فى لهفة ، عند حوض السباحة ، وهى تهتف فى حماس :

- سنيورا .. سنيورا .. أشعلى (التلفزيون) .. محطة (السى . إن . إن) تنقل مشهدًا يهمك كثيرًا .

انعقد حاجبا (السنيورا) ، وهى تميل لتضغط زر جهاز التحكم عن بعد ، وتشعل (التلفزيون) الكبير فى مواجهتها ، ونقلت إليها شاشته مشهد النيران ، التى تندلع فى قمة تمثال الحرية ، فانعقد حاجباها أكثر ، وهى تغمغم :

- هل فعلها (توماس) ورجاله ؟!

أجابتها مساعدتها فى انفعال :

- المحطة تقول : إن ثلاثة انفجارات وقعت عند التمثال ، ويرجحون كونها عملية إرهابية ، و ..

قاطعتها (السنيورا) فى اهتمام :

ـ عملية إرهابية ؟!

لاذت المساعدة بالصمت على الفور ، احترامًا لعلامات التفكير العميق ، التى ارتسمت على وجه (السنيورا) لثوان ، قبل أن تتألق عيناها الجميلتان ، وهى تضيف فى شىء من الجذل :

ـ فكرة عبقرية بالتأكيد .

ثم أشارت إلى الهاتف ، وهى تقول لمساعدتها بلهجة آمرة :

ـ استخدمى الخط السرى ، المحصَّن ضد المراقبة والتتبُّع ، وأجرى اتصالاً بمحطة (سى . إن . إن) ، وأخبريهم أنك مندوبة منظمة مصرية ، تعلن مسئوليتها عن العملية الإرهابية ، لنسف تمثال الحرية .

التقطت المساعده سمّاعة الهاتف ، وهى تسأل فى اهتمام :

ـ منظمة مصرية بالتحديد ؟!

ارتسمت على شفتى (السنيورا) ابتسامة تفيض بالدهاء ، وهى تقول :

ـ بالطبع يا عزيزتى ، فلو نجا (أدهم صبرى) من هذه المحاولة ، سيسقط حتمًا فى قبضة شرطة (نيويورك) ،

وعندئذ ستفيدنا فكرة المنظمة الإرهابية المصرية هذه ..

وتسلَّلت إلى شفتيها ابتسامة جذلة . مع استطرادتها :

ـ ستفيدنا كثيرًا .

ثم تحوَّلت الابتسامة إلى ضحكة مجلجة ..

ضحكة واثقة ..

وظافرة ..

* * *

لهثت (جيهان) فى شدة ، وهى تواصل العدو والقفز ، فوق درجات سلم الطوارئ الداخلى ، فى تمثال الحرية ، وهتفت :

ـ رباه !.. أكان من الضرورى أن يصنعوه بكل هذا الارتفاع .. إننا سنلقى حتفنا من فرط التعب ، قبل أن نصل إلى قاعدته .

أجابها (أدهم) فى حزم :

ـ وربما نلقى حتفنا أيضًا ، عندما نصل إلى قاعدته .

سألته فى قلق :

ـ سينتظروننا هناك .. أليس كذلك ؟!

أجابها بسرعة :

ـ هذا أمر طبيعى ، فالذين ألقوا القنابل ، لن يتوقفوا ،

قبل أن يتيقنوا تماما من أنهم قد قضوا علينا ، وفى الوقت نفسه ستثير الانفجارات كل رجل شرطة فى (نيويورك) ، ولن يدهشنى أن نجد جيشا من الشرطة ، عندما نصل إلى القاعدة .

توقفت بغتة ، قائلة فى حدة :

- لماذا نتجه إليها إذن ؟

التفت إليها ، قائلا :

- ومن قال : إننا سنفعل ؟!

سألته فى عصبية :

- المفترض أن سلم الطوارئ هذا يقودنا إليها مباشرة .

أومأ برأسه موافقا ، وقال :

- هذا صحيح ، ولكنه يعبر منطقة الصيانة أولا .

هتفت :

- آه .. أنت تعنى أنه أمامنا محطة للتوقف إذن .

أجاب وهو يعاود الهبوط :

- مؤقتا .

تبعته هاتفة :

- ماذا تعنى بمؤقتا هذه ؟!

أجاب فى ضيق :

- أسئلتك كثيرة أيتها النقيب .. اتبعينى فحسب .

صاحت فى غضب :

- إننى أكره هذا .. لماذا تعاملنى دائما باعتبارى مجرد تابع ، لا حق له فى معرفة التفاصيل ، حتى تلك الخاصة بإنقاذ حياته ؟!

توقف عند مساحة واسعة ، واتجه إلى باب فى جانبها ، وهو يقول :

- سأشرح لك كل ما تريدين معرفته ، عندما نصل إلى منطقة ، يمكننا أن نلتقط فيها أنفاسنا .

دلفت معه إلى حجرة صغيرة ، لها نافذة واحدة مرتفعة ، وفى نهايتها سلم مثبت بالجدار ، يمتد عبر فجوة فى نهايتها ، فسألته متوترة :

- هل سنتوقف هنا ؟

كان صوت أبواق زوارق الشرطة يقترب ، وهو يقول :

- سنلتقط أنفاسنا فحسب ، ثم نواصل تحركنا .

أدارت عينيها فى المكان فى دهشة ، قبل أن تقول فى عصبية :

- وأين نواصل تحركنا فى رأيك .. النافذة عالية وصغيرة للغاية ، وذلك السلم يقود إلى حجرة صيانة أخرى على الأرجح .. هل تعنى أننا سنغادر الحجرة ثانية ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ لو غادرناها سنقع حتمًا فى قبضة الشرطة ، أو نمنح القتلة فرصة ثانية لا صطيادنا على الجزيرة .

قالت فى عصبية :

ـ ولو بقينا هنا سيعثرون علينا حتمًا .

قال فى حزم :

ـ لن نبقى .

نطقها ، وهو يتجه إلى السلم ، ويهبط بوساطته إلى الحجرة السفلى، فأسرعت تلحق به ، وارتفع حاجباها فى دهشة ، وهى تحدّق فى فجوة كبيرة تتوسّط الحجرة ، وتبدو أشبه بفوهة بئر ، تبدو فى نهايتها مياه المحيط وقالت :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أجابها فى هدوء :

ـ مقياس المدّ والجزر(*) .. إنه هنا منذ وضعوا التمثال عام ١٨٨٤ م .

(*) المد والجزر : ظاهرة يحدث خلالها ارتفاع وانخفاض للماء بكميات كبيرة ؛ بتأثير جاذبية القمر والشمس ، بالإضافة إلى تأثيرات أخرى جانبية للكواكب والنجوم ، وتبلغ القوة المؤثرة للقمر ٢,٢٥ مرة تأثير الشمس ، ويبلغ الفرق بين المد والجزر حده الأقصى ، عندما تكون الأرض والشمس والقمر على خط واحد ، ويبلغ حده الأدنى عندما يتعامد القمر والشمس على الأرض .

سألته فى دهشة :

ـ وهل كنت تعرف بوجوده ؟

هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ قرأت عنه ذات مرة .

رمقته بنظرة شك ، وهى تقول :

ـ لقد قرأت العديد من الكتب ، حول تمثال الحرية ، ولم يشر أحدها إلى هذا المقياس قط .

عاد يهزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ ربما لم يدركوا أهميته .

لم يكد ينطق عبارته ، حتى تناهى إلى مسامعهما صوت أحد رجال الشرطة ، وهو يهتف :

ـ ابحثوا فى حجرة الصيانة .. إنها مكان مناسب للاختباء .

جذب (أدهم) (جيهان) إليه ، وهو يسألها :

ـ هل تجيدين السباحة ؟

أجابته فى حماس :

ـ أفضل من سمكة القرش .

اقتحم رجال الشرطة حجرة الصيانة ، فى اللحظة نفسها ، وبتعالى وقع أقدامهم ، وهم يندفعون إلى الحجرة العلوية ، فقال (أدهم) فى حزم :

ـ هيا بنا إذن .

ووثب الاثنان إلى البئر ، فى نفس اللحظة التى هبط فيها

أحد رجال الشرطة إلى الحجرة السفلية ، ولمحهما يقفزان ، فهتف :

ـ اثنان هنا .

كانت هناك أمتار ستة من الهواء ، قبل أن يرتطم جسدا (أدهم) و(جيهان) بسطح الماء ، ويغوصان فى الأعماق لمترين أخرين ، فى حين أسرع رجال الشرطة إلى الحجرة السفلى ، وهتف قائدهم :

ـ هل رأيت اثنين من الإرهابيين يا رجل ؟

أشار الشرطى إلى البئر ، هاتفا :

ـ لقد قفزا هنا ، وغاصا فى الأعماق .

انعقد حاجبا قائد فريق الشرطة ، وهو يحدّق فى سطح الماء المهتزّ ، الذى يوحى بأن بعضهم قد اخترقه ، وغاص فى الأعماق ، ثم انتزع من حزامه قنبلة يدوية ، وهو يقول :

ـ ربما كان هذا من سوء حظهما .

وألقى القنبلة فى الماء ، فارتطمت بسطحه ، وغاصت لمتر واحد ، و ..

وانفجرت ..

انفجرت فى نفس المكان ، الذى يسبح فى أعماقه (أدهم) و(جيهان) ..

وبمنتهى القوة ..

* * *

٣ ـ حرب القتلة ..

أشارت عقارب الساعة إلى الواحدة ، بعد منتصف الليل فى (القاهرة) ، عندما ارتفع رنين الهاتف الخاص ، فى حجرة نوم مدير المخابرات العامة ، فهبّ الرجل من رقاده ، والتقط سمّاعة الهاتف بسرعة ، وهو يقول :

ـ من المتحدّث ؟!

كان يدرك جيدًا أن رقم هاتفه السرى ، ونظام المراقبة والتتبُّع المتصل به ، يجعل من المستحيل أن يتصل به أى شخص على هذا الهاتف بالذات ، باستثناء عدد محدود من مساعديه ؛ لذا فقد غادر فراشه بالفعل ، قبل أن يسمع صوت مساعده الأوّل ، وهو يقول :

ـ سيادة المدير .. أرجو أن تشاهد محطة (سى . إن . إن) على الفور .

أسرع المدير إلى حجرة مكتبه ، وهو يحمل الهاتف ، وضغط زر (التلفزيون) ، سائلا مساعده :

ـ ما الذى تعرضه الآن ؟!

أجابه مساعده بسرعة واختصار :

ـ حدثت انفجارات عند تمثال الحرية ، ويقال : إن منظمة إرهابية مصرية قد أعلنت مسئوليتها عن الحادث ، و (سى . إن . إن) تربط كل ما حدث بـ (أدهم) .

هتف المدير :

ـ يا إلهى !.. مستحيل !

وظلّ ممسكًا سمّاعة الهاتف ، يكاد يعتصرها بقبضته ، وهو يتابع ما تقوله مذيعة المحطة الإخبارية الشهيرة ، وما توحى به للمشاهدين ، وخلفها صورة نصف واضحة لوجه (أدهم صبرى) ثم غمغم :

ـ الأمور تعقّدت إلى حد مخيف بالفعل .

قال مساعده فى توتر :

ـ هل تعتقد أن العميد (أدهم) مسئول عن هذا بالفعل يا سيّدى ؟

صمت المدير لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ بالتأكيد .

ثم أشار إلى الشاشة ، مستطردًا :

ـ ولكن ليس على نحو مباشر .

سأله مساعده فى حذر :

ـ هل لى أن أفهم أكثر يا سيّدى ؟!

أجابه المدير فى حسم :

ـ من المستحيل أن يفجّر (أدهم) القنابل ، فى مكان كهذا ، ولكن من الممكن جدًا أن يكون هو المستهدف منها .

قال مساعده فى توتر بالغ :

ـ لست أجد فارقًا فى الحالتين يا سيّدى ، فهذا يعنى أنه إما أن القنابل قد حصدت الرجل الأوّل فى إدارتنا ، أو أن رجال الشرطة يطبقون عليه الآن بالفعل ، ولو تم إلقاء القبض عليه للمرة الثانية ، ستلتصق به تهمة الإرهاب ، وسيضع (مصر) كلها فى حرج بالغ .

هزّ المدير رأسه نفيًا ، وكأنما يراه مساعده ، وقال :

ـ اطمئن من هذه الناحية .. لن يسبب (أدهم) أية مشكلات لوطنه، مهما كانت الأسباب ، ومهما بلغ الثمن .. إنه قادر بالتأكيد على تجاوز كل هذه المتاعب ، إذا كان لا يزال على قيد الحياة ، أما لو فشل ، وألقت الشرطة القبض عليه بالفعل ، فأنا واثق من أنه سينسب كل ما حدث لنفسه ، على نحو فردى ، وسينفى أية تهمة عن (مصر) .

قال المساعد فى خفوت :

ـ ويتحمّل العقاب كله .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يقول فى حزم :

ـ سيذود (أدهم صبرى) عن وطنه ، حتى ولو سلخوه حيًا ، ووضعوه بعدها فى الزيت المغلى .. أنت لاتعرفه مثلما أعرفه .

قالها ، وأنهى المحادثة ، وعاد يراقب المشهد على شاشة (التلفزيون) ..

وبمنتهى القلق ..

* * *

لو راجعت التصميمات القديمة لقاعدة تمثال الحرية الأمريكى ، للاحظت أن مقياس المد والجذر يمتدّ فيه رأسيًا لعشرة أمتار ، قبل أن يلتقى بممر أفقى واسع ، يعبر أسفل الجزيرة كلها ، ويقود إلى مياه المحيط مباشرة ..

وعندما غاص (أدهم) و(جيهان) فى مياه البئر ، كانت أمامهما أربعة أمتار رأسية ، قبل أن يبلغا النفق ، ولقد غاصا بأقصى سرعة ، حتى وصلا إلى الممر الأفقى ، وراحا يسبحان فيه فى مهارة ، فى محاولة لبلوغ المحيط ..

كانت المسافة طويلة حقًا ، بطول نصف قطر الجزيرة ، ولكن (جيهان) استجمعت كل قوتها ،

وحاولت استثمار مخزون الهواء فى صدرها حتى آخر نفس ، و ...

ولكن القنبلة اليدوية سقطت فى قاع البئر ..

وانفجرت ..

ومع انفجارها ، شعرت (جيهان) بقوة هائلة تدفعها إلى الأمام فى عنف ، وفقدت رئتاها كل مخزونها من الهواء بغتة ، وكادتا تنفجران مع الضغط العنيف المباغت ، حتى إنها أطلقت صرخة وهى ترتطم بجدران الممر ككرة من كرات تنس الطاولة ، سقطت فى ماسورة عميقة ، وراحت تتخبّط فى جدارها ، من جانب إلى آخر ..

وكان من المستحيل أن تحتمل أنثى كل هذا الضغط والعنف ..

أية أنثى ..

لذا فقد انهارت مقاومة (جيهان) فى الأعماق ..

وفقدت وعيها ..

وعلى الرغم من أن (أدهم) قد تعرّض للظروف نفسها ، وتخبّط فى جدار الممر فى عنف أيضًا ، إلا أن خبرته السابقة ، أو فلنقل إنها خاصية اعتياد الخطر والألم فى أعماقه ، قد حمته إلى حد ما ، فلم يفقد وعيه

مع عنف الموقف ، وإنما قاومه وقاومه ، واندفع نحو (جيهان) ، وقبض على خصلة من شعرها الأشقر الطويل ، وجذبها إليه فى قوة ، ثم وضع راحته اليسرى على أنفها وفمها ؛ ليمنعها من ابتلاع المياه ، وهو يسبح بكل قوته ، للخروج من الممر ..

لم تكن المسافة المتبقية تزيد على الأمتار الثلاثة ، ولكنها بدت له أشبه بألف كيلو متر ، وهو يقطعها بأقصى سرعة ممكنة ، حاملا زميلته ، قبل أن يتجاوز فتحة الممر ، ويدفع جسده إلى أعلى ، نحو سطح المحيط ..

وكانت الشمس قد غاصت أو كادت فى الأفق ، عندما ارتفع رأساهما فوق سطح الماء ، ورفع (أدهم) يده عن أنف (جيهان) وفمها ، هاتفا بها :

ـ هيا .. التقطى الهواء النقى .

تدفّق الهواء فى آلية إلى رئتيها ، و (أدهم) يضغط صدرها بساعديه ، ويرخيهما ، فى محاولة لتنشيط جهازها التنفسى ، وانطلقت من صدره زفرة ارتياح ، عندما أطلقت شهقة قوية ، وراح جسدها ينتفض بين ذراعيه ، فى نفس اللحظة التى هتف فيها (تيد) ، من فوق اليخت الذى يستقلّه مع (أندريه) :

ـ ها هوذا .

انعقد حاجبا (أندريه) وهو يصوّب بندقيته ذات المنظار إلى (أدهم) فى إحكام ، ويقول فى انفعال ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى :

ـ الهدف فى متناول يدى يا (توم) .

هتف (توماس) :

ـ ياللشيطان .. إذن فالانفجارات لم تقتله !!

هتف به (أندريه) فى حدة :

ـ إنه فى متناول يدى يا (توم) .

سيطر (توماس) على مشاعره فى شدة ، وهو يقول :

ـ تماسك يا رجل .. صوّب جيدًا ، قبل أن تطلق النار .. دعنا لا نخسر الفرصة هذه المرة .

أجابه (أندريه) فى حماس ، وهو يضع رأس (أدهم) عند نقطة التقاء الخطين المتقاطعين ، فى منظاره المقرّب :

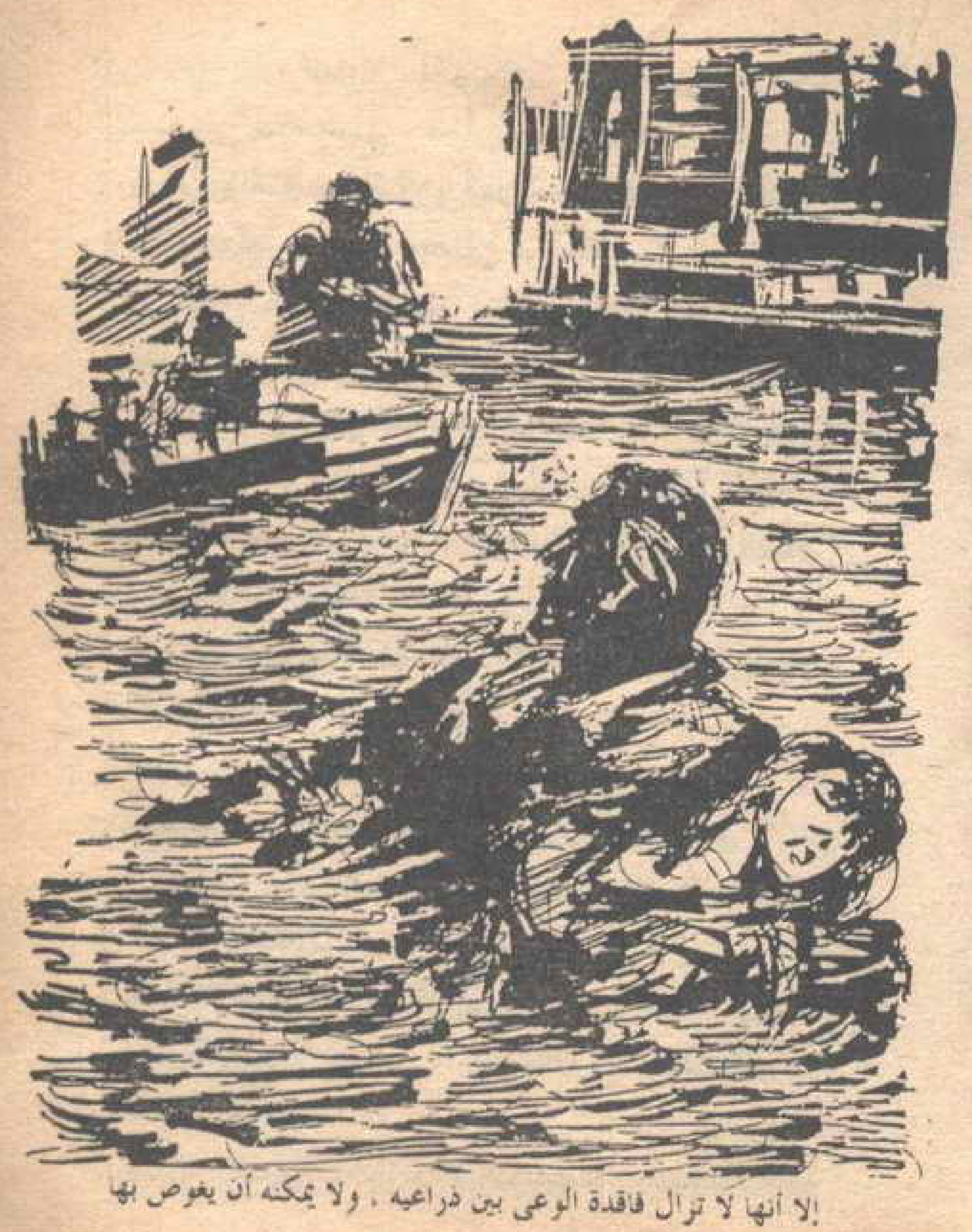
ـ إننى أصوّب جيدًا يا (توماس) .

هتف به (توماس) :

ـ أطلق النار إذن يا رجل .

صاح (أندريه) :

ـ سمعًا وطاعة يا (توم) .



إلا أنها لا تزال فاقدة الوعى بين ذراعيه . ولا يمكنه أن يغوص بها ثانية ..

قالها ، وسبابته تعتصر زناد بندقيته ..
ويطلق النار ..
ولكن صيحته بلغت مسامع (أدهم) فى اللحظة المناسبة ..
انفعاله كشف موضعه ، قبل أن يعتصر زناد بندقيته بجزء من الثانية ، فانتبه (أدهم) إلى الموقف ، وتحرك على نحو غريزى ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها الرصاصة ..
وعندما رأى (أندريه) الرصاصة تتجاوز رأس (أدهم) ، وتغوص فى المحيط ، صرخ فى غضب :
ـ اللعنة !
كان (أدهم) يدرك أن الرجل لن يكتفى برصاصة واحدة ، وأنه سيطلق حتمًا رصاصة ثانية وثالثة ..
وهو لا يستطيع الغوص ثانية ..
صحيح أن (جيهان) التقطت أنفاسها ، ونجت من الموت غرقًا ، إلا أنها لا تزال فاقدة الوعى بين ذراعيه ، ولا يمكنه أن يغوص بها ثانية ..
كل ما يملكه هو أن يسبح مبتعدًا ..
وبأقصى سرعة ممكنة ..
ولأن (أدهم) ليس بالرجل الذى يضيع لحظة واحدة

فى التفكير أو التدبير ، فقد حوّل فكرته فى جزء من الثانية إلى أداء عملى ، وراح يسبح مبتعدًا ..

ومن خلفه ، أطلق (أندريه) رصاصة ثانية ، أخطأت هدفها بدورها ، فصاح فى غضب :

- انطلق خلفه يا (تيد) .. سنسحق هذا الشيطان سحقًا .

دفع (تيد) ذراع السرعة فى اليخت ، وأدار الدفة نحو (أدهم) ، وانطلق خلفه فى سرعة ، و (أندريه) يصوّب بندقيته إليه ثانية ، فى حين يهتف (توماس) من مكمنه فى الميناء :

- (تيد) .. ماذا تفعل أيها الأحمق ؟!.. إنك تجذب إليك كل شرطة الميناء ..

صاح به (أندريه) فى انفعال :

- فلنجذب شرطة (نيويورك) كلها لو اقتضى الأمر يا (توم) ، ولكن المهم أن نسحق ذلك الشيطان ، قبل أن تنسحق سمعتنا نحن إلى الأبد .

صاح (توماس) فى ثورة :

- توقّف أيها الغبى .. حماقتك وحدها ستسحق سمعتنا .

ولكن (أندريه) تجاهله تمامًا ، وهو يصوّب بندقيته

إلى رأس (أدهم) مرة أخرى ، واليخت ينطلق نحوه فى سرعة ..

أما (أدهم) نفسه ، فقد أدرك بسرعة أن السباحة لن تنقذه هذه المرة ..

اليخت يطارده فى إلحاح ، وعلى متنه رجل يصوّب إليه بندقية مزودَة بمنظار مقرّب ، وهو يسبح حاملا (جيهان) ..

ولم يعد هناك مفرّ من الغوص ..

مهما كانت النتائج ..

وعلى الرغم من صعوبة القرار ، كتم (أدهم) أنف (جيهان) وفمها بكفه ، ثم دفع جسداهما إلى القاع ..

لم يكن الأمر سهلا ، وهو يغوص بزميلته فى المحيط ، وشعر بالرصاصة تخترق سطح المحيط خلفه ، وبالرصاصة نفسها تعبر على قيد سنتيمرات من رأسه ، وتتجاوز رأس (جيهان) بنصف السنتيمتر ، فى نفس اللحظة التى عبر فيها اليخت فوقه مباشرة ..

وعلى سطح اليخت ، هتف (تيد) محنقًا :

- لقد غاص فى المحيط .

صاح به (أندريه) :

- سيصعد إلى السطح ثانية حتمًا .. إنه ليس سمكة ،

ليبقى تحت الماء طوال الوقت .

كان محقًا فى قوله بالتأكيد ، و(أدهم) نفسه خير من يدرك هذا ، خاصة وأن (جيهان) لن تحتمل نقص الهواء لأكثر من نصف الدقيقة ، تحت سطح الماء ، وهى فاقد الوعى على هذا النحو ..

كل ما يملكه إذن هو أن يسبح فى الاتجاه الصحيح ..

وطبقًا لخطة دقيقة ..

ومحكمة ..

وتحت سطح الماء ، انطلق (أدهم) يسبح بمحاذاة اليخت ، وهو يحمل زمليته ، ويقول لنفسه فى قلق :

- تماسكى يا (جيهان) .. اصمدى لثوان معدودة ، وسنجد وسيلة للخروج من كل هذا .

كانت خطته تعتمد على الوصول إلى مؤخرة اليخت ، والتعلق بسلمه الخلفى ، واستخدامه للصعود إلى سطحه ، و ...

ولكن اليخت انحرف فجأة مبتعدا عنه ، وعلى متنه (تيد) يهتف :

- لقد اختفى يا (أندريه) .. لست أجد أى أثر له .

صاح به (أندريه) :

- واصل الدوران حول البقعة نفسها يا رجل .. لابد له

من الظهور حتمًا .

وكان محقًا فى هذا للأسف ..

فمع وجود (جيهان) الفاقدة الوعى ، كان (أدهم) مضطرًا للصعود إلى السطح ، بعد نصف دقيقة من الغوص ..

وعندما فعل ، وارتفع رأسه ورأسها فوق سطح الماء ، صاح (تيد) :

- هاهوذا .

دار (أندريه) حول نفسه فى مهارة مدهشة ، وصوّب بندقيته إلى (أدهم) ، وهو يقول فى انفعال :

- هيا .. قل وداعًا لدنيانا أيها الشيطان المصرى ..

وفى هذه المرة ، لم يكن أمام (أدهم) ما يفعله حقًا ..

لا يمكنه أن يعاود الغوص مع (جيهان) ، قبل أن يسمح لها بالتقاط ما يكفيها من الهواء النقى ، وإلا اختنقت تحت سطح الماء هذه المرة ، وفقدها إلى الأبد ..

ولا يمكنه أيضًا أن يتخلى عنها ، ويغوص وحده ..

و(أندريه) يصوّب بندقيته بمنتهى الدقة ..

ويستعد لضغط الزناد ..

و ...

وفجأة ، ظهرت الهليوكوبتر ، التى تحمل المفتش

(هانكس) ، الذى لمح ما يحدث ، وفهم الموقف كله فى لحظة واحدة ، بحكم خبرته وحنكته ، فتهف عبر مكبّر للصوت :

- توقّف يا رجل .. إياك أن تطلق النار .

ومع ذلك الهتاف المباغت ، وبحركة غريزية بحتة ، تفتقر إلى الحكمة والتروّى ، وتعود إلى ردود الفعل القديمة ، أيام التعايش مع العصابات وعالم الجريمة ، رفع (أندريه) فوهة بندقيته ، وأطلق الرصاصة نحو الهليوكوبتر ..

وفى غضب هادر ، صرخ (توماس) ، الذى يراقب الموقف من بعيد :

- أيها الغبى .

أما المفتش (هانكس) ، فقد فوجئ بالرصاصة ترتطم بجسم الهليوكوبتر ، التى انحرف بها قائدها بسرعة ، متفاديًا أى هجوم آخر ، فهتف فى صرامة :

- اللعنة !.. دعنا نرد الهجوم يا رجل .. استخدم مدفعيك الآليين .

انقضّ قائد الهليوكوبتر على اليخت ، وأطلق رصاصاته نحوه ، فصرخ (تيد) فى هلع :

- ماذا فعلت أيها الأحمق ؟.. لقد دفعتهم لمهاجمتنا .

ولكن (أندريه) تصوَّر أنه لم يعد هناك مجال للتراجع ، فواصل إطلاق النار على الهليوكوبتر ، فى حين راح (أدهم) يسبح بحمله مبتعدًا ، وزوارق الشرطة تتجه نحوه ، و(توماس) يصرخ عبر جهاز الاتصال اللاسلكى :

- تراجع يا (أندريه) .. تراجع أيها الغبى .

والتقط جهاز اللاسلكى فى الهليوكوبتر هذا الهتاف ، فانعقد حاجبا (هانكس) ، وغمغم متوترًا :

- آه .. إنها عملية منظّمة إذن .

وألقى نظرة قلقة على (أدهم) ، الذى يسبح مبتعدًا ، وخشى أن يشغله ذلك القتال عن اللحاق به ، فصاح بقائد الهليوكوبتر :

- لا تضع الوقت يا رجل .. احسم المعركة . هيا ..

سأله الطيّار فى اهتمام :

- ألا ترغب فى إلقاء القبض عليهم واستجوابهم ؟

صاح به فى حدة :

- ومن يهتمّ بهم ؟

ارتسمت ابتسامة ارتياح على شفتى الطيّار ، وهو يقول :

- عظيم .. هذا يجعل الأمر أفضل كثيرًا .

قالها ، وانقضَ على اليخت ، وهو يضغط زر إطلاق الصواريخ هذه المرة ..

واتسعت عينا (تيد) فى رعب ، عندما شاهد الصاروخ ينقضَ على اليخت ، فتخلّى عن الدفة ، وانطلق يعدو نحو الحاجز ، صارخًا :

ـ اهرب يا (أندريه) .

ولكن سرعته ، مهما بلغت ، لم يكن باستطاعتها قط التفوق على سرعة الصاروخ ، الذى واصل طريقه ، وأصاب اليخت ، قبل أن يبلغ (تيد) حافته ..

ودوى الانفجار ..

انفجار أطاح باليخت كله ، وبالقاتلين المحترفين على سطحه ، وجعل (توماس) يهتف فى انفعال :

ـ لا .. لا .. اللعنة !

أما (جيسون تانج) ، فاتسعت عيناه فى ارتياح ، وغمغم :

ـ رباه !.. (أندريه) و(تيد) !.. رباه .

ثم صرخ فى غضب :

ـ سأقتله يا (توم) .. سأقتل ذلك المصرى ، الذى تسبّب فى مقتل نصف رفاقنا حتى الآن .

صاح به (توماس) فى عصبية :

ـ رويدك يا رجل .. لا تتهوَر .. لا تمنحهم فرصة تصفية المزيد منا .

صرخ (جيسون) :

ـ هل سنتركه يرحل بعدما حدث ؟.. هل سنسمح له بالذهاب ، بعد أن تسبّب فى مصرع (أندريه) و(تيد) .

قال (توماس) فى حدة :

ـ لن يرحل يا رجل .. سيلقون القبض عليه ، و ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلّع إلى هليوكوبتر (هانكس) ، التى تتجه فى خط مستقيم نحو المبنى تحت الإنشاء ، الذى يقف (جيسون) عند سطحه ، وغمغم فى عصبية :

ـ يا للشيطان !.. لقد التقطوا موجة البث .

ثم صرخ فى الجهاز :

ـ اهرب يا (جيسون) .. اهرب بسرعة إنهم يتجهون نحوك مباشرة .

قالها ، وألقى جهاز الاتصال اللاسلكى من يده ، وحطمه بقدمه فى عنف ، ثم انطلق يعدو مغادرًا المكان بأقصى سرعته ..

أما (جيسون) ، فقد انتبه مع النداء ، إلى أن الهليوكوبتر تتجه نحوه مباشرة ، فهبَ واقفًا ، وهتف فى غضب :

ـ اللعنة !

ولم يكن لديه مكان للاختباء أو الاحتماء ، وسط قضبان الصلب ، التى تصنع الهيكل الخارجى والداخلى للمبنى ، فنهض يصوِّب بندقيته إلى الهليوكوبتر ، هاتفًا :

ـ لن تظفروا بى بسهولة أيها الأوغاد .. لن تظفروا بـ (جيسون تانج) .

وانطلقت رصاصات بندقيته نحو الهليوكوبتر ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها رصاصات مدفعها نحوه ..

ولم تكن النتيجة بحاجة إلى التخمين أو الاستنتاج ، مع هذا القتال الذى يفتقر تمامًا إلى التكافؤ ..

لقد اخترقت عشرات من رصاصات الهليوكوبتر جسد (جيسون) ، الذى أطلق صرخة عالية رهيبة ، وجسده الممزَّق يطير فى الهواء ، ويهوى من سطح المبنى حتى ارتطم بالأرض فى عنف جثة هامدة ..

وفى الهليوكوبتر ، مطَّ (هانكس) شفتيه ، مغمغمًا :

ـ ماذا أصاب هذه المدينة المجنونة ؟!.. ألا توجد حدود لشراسة مجرميها ؟

ابتسم قائد الهليوكوبتر ، وهو يدور بها ، عائدًا إلى المحيط ، وقال :

ـ هذا لا يدهشنا نحن قاطنى (نيويورك) أيها المفتش ، ولكن الذين ينتمون إلى (واشنطن) مثلك تثار دهشتهم هنا بسرعة .

التفت إليه (هانكس) ، قائلا :

ـ كيف علمت أننى منتدب من (واشنطن) ؟

هزَّ الرجل كتفيه ، قائلا :

ـ الأخبار تنتشر بسرعة هنا أيها المفتش .

عقد (هانكس) حاجبيه فى شدة ، ولكنه لم يناقش الأمر ، وهو يراقب فى اهتمام زوارق الشرطة ، التى أحاطت بـ (أدهم) و(جيهان) ، والتقط بوق جهاز اللاسلكى ، وهو يقول لزورق الشرطة الرئيسى :

ـ ألقوا القبض على الرجل والمرأة .. لا تسمحوا لهما بالفرار .

أجابه قبطان الزورق الرئيسى :

ـ المرأة فاقدة الوعى ، والرجل يطلب منا إلقاء طوق نجاة لانتشالها .

انعقد حاجبا (هانكس) ، وهو يغمغم لنفسه :

ـ أهى فاقدة الوعى حقًا يا (أدهم) ، أم أنها خدعة جديدة ؟!

ثم قال للقبطان :

- ألقـوا إليها طوق النجـاة ، وصوّبـوا مدافعكـم الآلية إليه ، وحذار أن يخدعكم .

أجابه القبطان فى شىء من التهكم :

- اطمئن أيها المفتش .. خبرتنا هنـا تفوق خبراتكم المحدودة فى بلد هادئ مثل (واشنطن) .. لن يتمكن الرجل من خداعنا قط .

مطّ (هاتكس) شفتيه محنقًا ، وأشار بيده للطيار ، ليهبط بالقرب من الزورق الرئيسى ، وهو يقول فى غضب :

- خبراتنـا المحدودة فى (واشنطن) جعلتنى أكثر فهما لهذا الرجل بالتحديد أيها القبطان ، فلا تناقشنى ، وأطع تعليماتى جيدًا .

قالها ، وهو يراقب رجال شـرطة الميناء ، وهم يلقون طوق النجاة لـ (أدهم) ، الذى التقطه ، ودفع داخله جسد (جيهان) الفاقدة الوعى ، ثم أشار للرجال بانتشالها ، وتابع جسدها وهو يرتفع نحو الزورق ، ثم صرخ فجأة :

- احترسوا .. المرساة تسقط نحوها .

رفع الجميع عيونهم فى حركة آلية ، نحو مرساة الزورق ، ثم انتبهوا فجأة إلى الخدعة ، و(هاتكس)

يصرخ فى غضب :

- لقد خدعكم أيها الأغبياء .. خدعكم كما لو كنتم صغارًا فى روضة أطفال للمعوّقين عقليًا .

استدار الرجال مع فوهات مدافعهم الآلية فى سرعة ، نحو البقعة التى كان فيها (أدهم) ، وانتقل غضب (هاتكس) إليهم ، عندما رأوها خالية ، إلا من عدة دوائر على سطح الماء ، تشير إلى أن الرجل قد غافلهم ، وغاص فى الأعماق . وصاح (هاتكس) فى قائد الهليوكوبتر :

- لا تسمح له بالفرار .. أطلق النار يا رجل .. أطلق النار .

وكما لو أن الأمر موجّه للجميع ، انطلقت رصاصات كل رجال الشرطة ، مع رصاصات الهليوكوبتر ، نحو البقعة التى اختفى عندها (أدهم) ..

وتحوّل الأمر كله إلى جحيم ..

جحيم تحت الماء .

* * *

٤ ـ الجحيم ..

نهضت زوجة مدير المخابرات العامة من فراشها ، وتطلّعت إلى مكانه الخالى ، قبل أن تلقى نظرة على المنبه المجاور للفراش ، وتتنهّد مغمغة :

ـ ألا تنتهى هذه الأعمال أبدًا ؟

واتجهت إلى حجرة المكتب على أطراف أصابعها ، وتطلّعت لحظات إلى زوجها ، الذى يتابع ما تنقله محطة (سى . إن . إن) فى اهتمام بالغ ، وارتفع حاجباها فى دهشة ، مع تلك المشاهد العنيفة ، وقالت :

ـ رباه !.. هل اشتعلت الحرب فى (أمريكا) ؟

أجابها زوجها ، دون أن يلتفت إليها :

ـ يبدو هذا .

انتقلت لتجلس إلى جواره ، وتتابع الشاشة بدورها ، وهى تسأله فى قلق :

ـ ومن أشعلها .

صمت بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى شىء من الحزم :

ـ نحن .

شهقت فى دهشة مستنكرة ، وضربت صدرها بكفها ، هاتفة :

ـ نحن ؟!.. نحن أشعلنا حربًا مع (أمريكا) ؟

مطّ شفتيه وهو يواصل متابعة المشهد ، دون أن يجيب ..

كانت الشاشة تنقل صورة رجال الشرطة والهليوكوبتر ، وهم يواصلون جميعًا إطلاق النار ، على البقعة التى اختفى فيها (أدهم) ، والمعلقة تقول :

ـ من الواضح أن الجميع يتحركون بدافع من الغضب والانفعال ، ولكنهم لم يظفروا بذلك الرجل بعد .. لقد فرّ منهم بوسيلة ما ، كما يفعل دائمًا .

ظهرت فى ركن الشاشة تلك الصورة نصف الواضحة ، لوجه (أدهم) والمعلّقة تتابع :

ـ ومن العجيب ان ذلك الرجل قد تحوّل إلى بطل شعبى ، دون أن يقصد هذا أو يسعى إليه ، فانتصاراته المتواصلة تروق للجميع ، وأسلوبه الفذّ فى معالجة الأمور يثير تساؤلًا عامًا .. أهو مصرى حقًا ؟!

ارتسم شىء من الزهو على وجه مدير المخابرات ، وهو يتمتم :

ـ نعم أيها المغرورون .. إنه مصرى حقًّا .. مصرى حتى النخاع .

كان رجال الشرطة يواصلون إطلاق النيران على الشاشة ، والزوارق تتباعد على نحو منظم ، فى محاولة لمحاصرة المنطقة كلها ، ومنع (أدهم) من الفرار ، فى حين راحت الهليوكوبتر تحلق على نطاق واسع ، وتحوم حول المنطقة ؛ لتصنع أسوارًا من رصاصاتها فى المحيط ، وعلى متنها المفتش (هاتكس) يهتف :

- لا تسمحوا له بالفرار .. أطلقوا النار على أى جسم متحرك .

هتف به قائد فريق شرطة الميناء ، عبر أجهزة الاتصال اللاسلكية :

- إنك تطلب المستحيل أيها المفتش .. لقد غربت الشمس بالفعل ، ولم يعد الأمر سهلا .

صاح (هاتكس) :

- استخدموا الأضواء الكاشفة ، وقنابل الأعماق ، وكل ما يمكن استخدامه .. المهم ألا تسمحوا له بالابتعاد قط .

غمغمت زوجة مدير المخابرات فى قلق :

- رباه !.. كيف يمكن لرجلكم أن ينجو من هذا الحصار ؟!.. لقد حولوا المنطقة إلى جحيم حقيقى .

رمقها زوجها بنظرة جانبية ، دون أن يجيب ، وعقله يعيد دراسة الموقف على نحو آخر ..

لماذا يتورط (أدهم) فى هذه المواقف العلنية ، منذ بدأت هذه المهمة ؟!..

ولماذا اتسعت الدائرة على هذا النحو العجيب ؟!..

ثم كيف سينجو من كل هذا ؟!

كيف ؟!

استقر السؤال الأخير فى رأسه ، وراح يتكرر عشرات المرات ، خلال ثوان معدودة ، ولم يقطعه إلا ذلك الرنين المميز ، لهاتف أحمر خاص ، موضوع فوق مكتبه ، فهب من مقعده ، وقفز يلتقط سماعته ، فى حين هبت زوجته من مقعدها بدورها ، وأسرعت تغادر الحجرة ، وتغلق بابها خلفها ، وهو يقول فى احترام شديد :

- مرحبًا يا سيادة الرئيس .. إنه أنا .. نعم .. أتابع محطة (سى . إن . إن) منذ بدأ هذا .. نعم ياسيادة الرئيس .. إنه رجلنا .. (أدهم صبرى) .

وصمت بضع لحظات ، قبل أن يقول فى توتر :

- لا يا سيادة الرئيس .. (أدهم) لم يتعمد هذه العلانية .. هناك من يسعى خلفه ، ويحاول النيل منه

وإفساد مهمته لهدف ما .

وعاد يستمع إلى رئيس الجمهورية فى اهتمام ، ثم قال فى توتر أكثر :

ـ كلا يا سيادة الرئيس .. إنه ليس الرجل الوحيد لدينا ، ولكنه أفضل رجالنا بكل تأكيد .. اطمئن يا سيادة الرئيس .. اطمئن .. لن يتطور الأمر إلى ما هو أكثر من هذا .. اطمئن .

وأنهى الاتصال ، ووقف جامدًا بضع لحظات ، يراقب شاشة (التلفزيون) ، ويمسك سمّاعة الهاتف فى موضعها ، ثم لم يلبث أن نقل يده إلى الهاتف الآخر ، والتقط سمّاعته ، وطلب رقمًا خاصًا ، ولم يكد يسمع صوت محدّثه ، حتى قال فى حزم :

ـ أنا المدير يا رجل .. أبلغ الجميع بضرورة عقد اجتماع عاجل فى الجهاز ، بعد ساعة واحدة .. غير مسموح بتخلّف أى شخص ، مهما كانت الأسباب .

قالها ، وأعاد السمّاعة إلى موضعها ، وعاد يتطلّع إلى شاشة (التلفزيون) ، وقد بدا أن الموقف فى الميناء يزداد تعقيدًا ..

وأن الجحيم يشتعل أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

كان أكثر ما يقلق بال (أدهم) ، فى تلك اللحظات العصيبة ، هو أن يطمئن على موقف (جيهان) ، التى لم تستعد وعيها بعد ، ولم يكد يحيطها بطوق النجاة ، حتى شعر بالارتياح ، ونقل مشاعره كلها إلى محاولة إنقاذ نفسه ، والخروج من هذه المصيدة ..

وعلى الرغم من استخدامه لخدعة بسيطة للغاية ، إلا أنها نجحت تمامًا ، وعلى نحو مدهش ..

تمامًا كما علمته خبرته ..

كل المحترفين يشحذون حواسهم وينتبهون جيدًا ، لكشف كل الخدع الحديثة ، والمبتكرة ، حتى إن أكثر ما يمكن أن يخدعهم هو المحاولات التقليدية المباشرة ..

لقد أطلق صيحته التحذيرية ، فأدار الجميع رءوسهم بعيدًا عنه لحظة ، كانت تكفيه تمامًا ليغوص فى الأعماق ، ويضرب ذراعيه وساقيه بكل قوته ؛ ليبتعد عن البقعة التى اختفى عندها ..

وعندما انطلقت رصاصات الجميع فى الماء ، كان يغوص فى الماء ، كان يغوص أسفل زورق الشرطة الرئيس تمامًا ..

كانت فكرته ذكية بالفعل ، فقد قدر أن النيران كلها ستتركز عند تلك البقعة ، وأن آخر نقطة ستتجه إليها الأنظار هى زوارق الشرطة نفسها ..

ولكن العودة إلى السطح كانت مشكلة جديدة ..

فالانفجارات عند تمثال الحرية ، والاشتباك بين الهليوكوبتر واليخت ، وإطلاق النيران المتواصل قد جذب كل الأنظار ووسائل الإعلام ، وسيلمحه شخص ما حتمًا ، عندما يرتفع رأسه ..

ولهذا اختار نقطة شديدة الصعوبة ، لالتقاط أنفاسه .

لقد صعد برأسه فى تلك الزاوية الحرجة ، بين جسم الزورق ومروحته الرئيسية ، والتقط نفسًا عميقًا ، ثم عاد يغوص فى الأعماق ، ويسبح محاولاً الوصول إلى رصيف الميناء ، قبل أن تتعقد الأمور أكثر ..

ولكن زوارق الشرطة بدأت تبتعد فى دائرة واسعة ، فى حين أخذت الهليوكوبتر تحوم حول المنطقة ، وهى تطلق رصاصاتها فى سخاء منقطع النظير ..

وبدا الموقف أشبه بجحيم حقيقى ..

(أدهم) يسبح بكل قوته وسرعته ، تحت سطح الماء ، والرصاصات تتناثر من حوله ، والزوارق تندفع وكأنها تطارده فى إصرار وعناد ..

ثم أضيفت إلى المخاطر قنابل الأعماق ..

القنبلة الأولى انفجرت على مسافة عشرة أمتار منه ، ولكنه شعر وكأنها قد انفجرت فى أعماقه مباشرة ، وأنها انتزعت أحشاءه من جسده ، وألقتها عبر جوفه إلى مياه المحيط ، فى نفس الوقت الذى اخترقت فيه أذنيه ، وضربت مخه ، فارتجّ فى جمجمته ، وكاد يذوب عبر فتحتى أنفه ..

ولكنه تماسك ..

تماسك ، وراح يسبح أسرع وأسرع ، محاولاً الحفاظ على ما تبقى من الهواء فى رئتيه ..

ثم انفجرت القنبلة الثانية ..

ومع انفجارها قفز كل مخزون الهواء عبر فمه وأنفه ، على شكل فقاعات كبيرة ، خُيّل إليه أنها حملت معها رئتيه وقلبه ، وتركته جسدًا خاليًا بلا روح ..

كانت الآلام تفوق طاقة البشر ، والعذاب يمزّق جسده تمزيقًا ، على نحو يستحيل أن يحتمله أى بشرى عادى ..

ولكنه احتمل .

احتمل كما لم يحتمل من قبل ، وهو يدفع جسده دفعًا ، نحو رصيف الميناء ، كمحاولة أخيرة للنجاة ، والخروج من هذا الفخ ..

ولكن الأضواء الكاشفة كانت تغمر المنطقة كلها ، ورجال شرطة الميناء يستعدون لإلقاء القنبلة الثالثة ، و ..

وفجأة ، دوى انفجار آخر ..

انفجار أطاح بوحدة توليد الكهرباء ، الخاصة بالميناء ، ونسفها نسفا ، فانطفأت كل الأضواء الكاشفة دفعة واحدة ، وهتف المفتش (هاتكس) ، داخل الهليوكوبتر ، التى تواصل دورانها حول المنطقة :

- اللعنة !.. إنها مؤامرة ولا شك .. لقد تحرك الآخرون .

أشعل الطيّار مصباحا قويًا ، أسفل الهليوكوبتر ، وهو يسأله :

- هل تبغض ذلك الرجل إلى هذا الحد ؟!

التفت إليه (هاتكس) فى حدة ، قائلا :

- لا شأن للمشاعر بقضيتنا يا رجل ..

ابتسم الطيّار فى سخرية ، قائلا :

- حقًا ؟!.. لماذا تبذل قصارى جهدك لتدمير ذلك الرجل إذن ؟!.. المفترض أن تسعى لإلقاء القبض عليه حيًا ؛ لتعرف ما خلفه ومن خلفه على الأقل ، خاصة وقد أصبحت زميلته فى قبضتك بالفعل .

انعقد حاجبا (هاتكس) ، وتفجرت عبارة الطيّار فى أعماقه ، وأعادت إليه صوابه وتفكيره الدقيق ، ودفعته إلى إعادة تقييم الموقف على نحو آخر ..

أما (أدهم) ، فلم يكد ذلك الانفجار يدوى ، وتصير المنطقة كلها فى ظلام دامس ، حتى دفع جسده دفعا إلى السطح ، والتقط نفسا عميقا من الهواء النقى ، ملأ به رئتيه المجهدتين ، قبل أن يسبح فوق السطح بكل قوته ، مجبرا ذراعيه المكدودتين على بذل المزيد والمزيد من الجهد ..

وعلى الزورق الرئيسى لشرطة الميناء ، استعدّ أحد الرجال لإلقاء قنبلة الأعماق الثالثة ، ورئيسه يهتف :

- استخدموا القنابل الفسفورية ، وطلقات الإشارة .. افعلوا كل ما بوسعكم ، لنحيل هذا الظلام إلى قطعة من نهار صناعى .

ألقى الرجل قنبلة الأعماق الثالثة ، وهو يقول فى حماس :

- سمعًا وطاعة يا سيّدى .

انفجرت القنبلة فى عنف ، كما حدث فى المرتين السابقتين ، إلا أن تأثيرها لم يكن أشبه بتأثير القنبلتين السابقتين ، بالنسبة لـ (أدهم صبرى) ..

هذا لأنه لم يكن يسبح فى الأعماق هذه المرة ..

لقد استغلَّ تلك الظلمة للوصول إلى رصيف الميناء ، وبدأ فى تسلقه بالفعل ، عندما دوى الانفجار ..

وفى نفس اللحظة تقريبًا ، أمسكت يد قوية بمعصم (أدهم) ، وجذبته إلى أعلى ..

وكرد فعل طبيعى ، مع كل تلك التوترات العنيفة المتوالية ، ضمَّ (أدهم) قبضته فى سرعة ، وهمَّ بلكم صاحب اليد ، التى قبضت على معصمه ، لولا أن سمع صوتًا يقول فى انفعال :

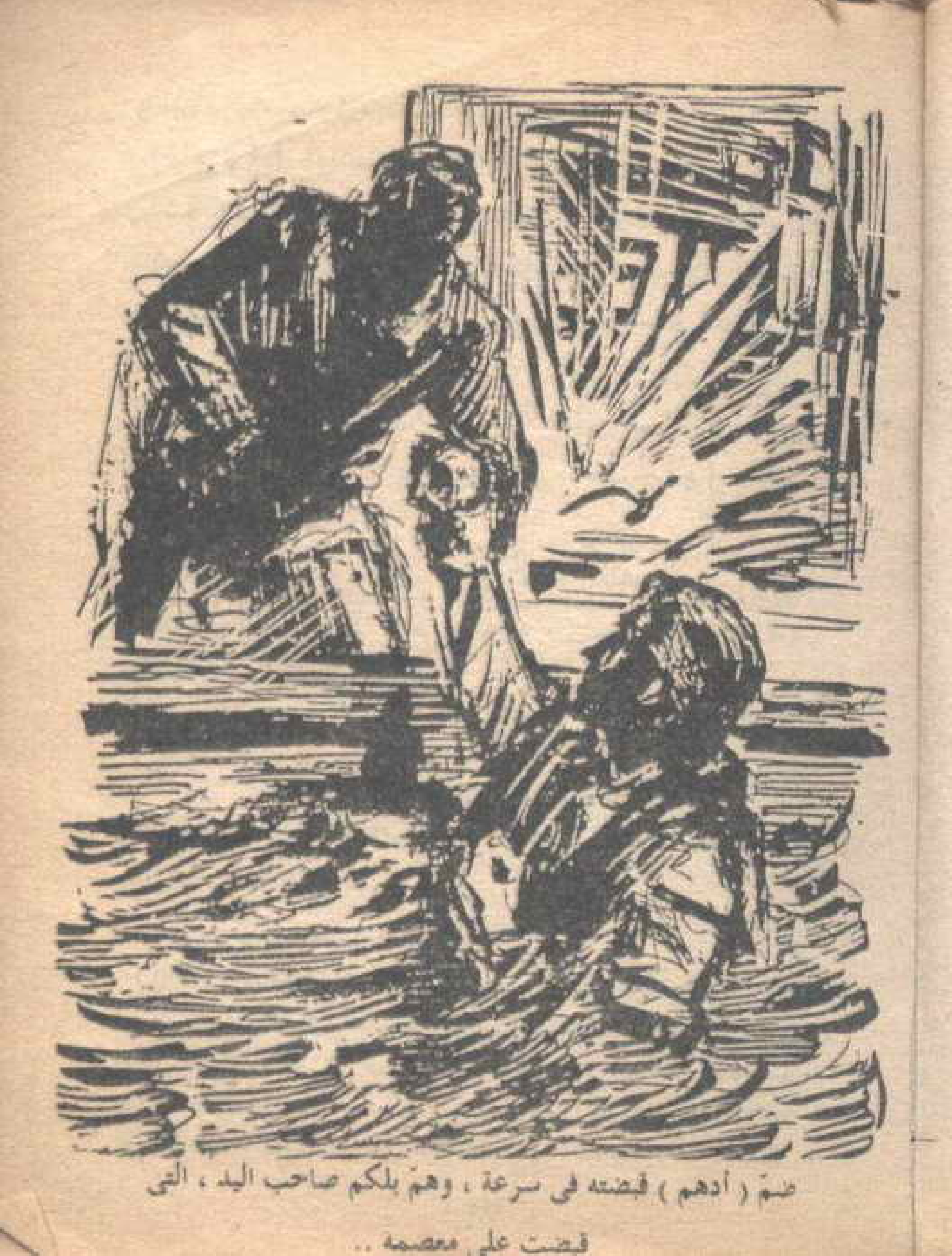
ـ إنه أنا يا سيادة العميد .. (ناشد) .

ولم يكد (أدهم) يسمع ويميِّز صوت مندوب المخابرات العامة المصرية فى (نيويورك) ، حتى تشبَّث باليد الممسكة به ، ودفع جسده إلى أعلى ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـ كيف عثرت علىَّ يا (ناشد) ، وسط هذا الظلام الدامس ؟

أجابه (ناشد) ، وهو يسرع به نحو سيارة كبيرة تدور محركاتها ، ويستعدّ سائقها للانطلاق بها على الفور :

ـ لقد شاهدنا ما حدث على شاشة (التلفزيون)



ضمَّ (أدهم) قبضته فى سرعة ، وهمَّ بلكم صاحب اليد ، التى قبضت على معصمه ..

واتخذنا قرارا فرديا بمؤازرتك ، دون أن نخطر (القاهرة) فأسرعنا إلى هنا ، وتولى أحد رجالنا نسف وحدة توليد الكهرباء ، فى حين ارتديت أنا منظارا خاصًا ، يتيح لى الرؤية فى الظلام ، بوساطة الأشعة دون الحمراء (*) ولمحتك تسبح نحو رصيف الميناء ، فأسرعت إليك لمعاونتك ..

قفز (أدهم) بملابسه المبتلة داخل السيارة ، التى انطلقت على الفور ، مبتعدةً عن الميناء ، و(ناشد) يسأله فى قلق :

- قل لى سيادة العميد : هل أحسنّا التصرُّف ؟

استرخى (أدهم) فى مقعده ، وأسبل جفنيه فى تهالك شديد ، وهو يغمغم :

- بالتأكيد يا (ناشد) .. بالتأكيد يا صديقى .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان (هاتكس) قد حسم أمره ، وهتف فى رجال الشرطة ، عبر مكبرات الصوت :

(*) الأشعة تحت الحمراء : أشعة كهرومغنطيسية ، تقع أطوال موجاتها بين ألف ميكرون ، و ٠,٧٥ ميكرون ، وتنقسم أحيانًا إلى ثلاثة أنواع ، تبعًا لطولها الموجى ، ومن أهم خصائصها نقل الطاقة الحرارية ، وتستخدم فى الرصد الحرارى ، والتصوير فى الظلام ، وهى أشعة غير مرئية .

- أوقفوا العملية .. سنحاصر الميناء ، ونستخدم الضفادع البشرية للبحث عن جثته فى الأعماق ، لو أن القنابل قد أوقعت به بالفعل .

قالها ، دون أن يدرى أن الهدف ، الذى جنّد كل شرطة الميناء للبحث عنه ، ينطلق مبتعدا بالفعل عن المكان ، معلنا خروجه من الأزمة ..

ومن الفخ ..

* * *

« لم يعثروا عليه .. » ..

نطقت مساعدة (السنيورا) العبارة فى خفوت وحذر ، وهى تتطلع فى قلق إلى زعيمتها ، التى انعقد حاجباها فى غضب شديد ، وأشعلت سيجارتها فى عصبيةٍ أشد ، وراحت تنفث دخانها كبركان ثائر ، وهى تدور فى حجرة مكتبها الواسعة ، قبل أن تلوّح بيدها ، قائلة فى حنق :

- كان ينبغى أن أتوقع هذا .. حتى (توماس) ورجاله يتصرّفون كطغمة من الأوغاد ، وهذا لا يصلح لمواجهة محترف واسع الحيلة ، جيد التدريب ، مثل (أدهم صبرى) هذا .

سألتها مساعدتها فى حيرة :

ـ ولكن كيف هـرب من الميناء ، مع كل مـا فعلوه هناك ؟

نفثت (السنيورا) دخان سيجارتها فى غضب أكثر ، وهى تقول :

ـ سيجد ألف وسيلة ووسيلة .

ثم عادت تدور فى حجـرة مكتبهـا فـى عصبيـة ، مستطردة :

ـ المشكلة أننى فقدت أثره مؤقتا ، وهذا يثير سخطى وحنقى ، فأنا أكره دوما أن يتفوق علىّ الخصم ، ولـو بخطوة واحدة .

قالت المساعدة فى حذر متردد :

ـ ولكنه سيواصل البحث عن زميلته ، وعـن السفير وزوجته بالتأكيد .

توقفت (السنيورا) عن الدوران فـى المكان بغتـة ، وانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول :

ـ بالتأكيد .. إنها مهمته ، ولن يرضى بالاستسلام قط .

ثم استدارت إلى مساعدتها ، وشملها حماس مباغت ، وهى تستطرد :

ـ لقد التقى بـ (خوزيه) فى تمثال الحرية ، وكـانت لديه دقـائق عشر معه ، قبـل أن يبدأ رجال (توماس)

الأوغاد هجومهم ، ومع رجل مثلـه ، تكفى هـذه المدة ليحصل من خصمه على ما يريد .

قالت مساعدتها فى اهتمام :

ـ هل تعتقدين إذن أنه يعرف مكـان السفير وزوجتـه الآن ؟

أجابتها فى حماس زائد :

ـ بل أنا واثقة من هذا .. (خوزيه) مغرور متبجح ، ولكنه لن يصمد أمام لكمة واحدة من لكمات (أدهم) القوية ، وسينهار تماما ، مع أول قطرة دم تنزف من أنفه ، ولا شك عندى فى أنه قد أدلى باعتراف تفصيلى ، وربما بأكثر ممـا طلبه منـه (أدهم) ، من فرط الألم والرعب .

قالت المساعدة فى انفعال :

ـ إذن فـ (أدهم) يعرف موقع السفير وزوجته الآن .. لابد إذن من الإسراع بنقلهما إلى مكان آخر .

هزت (السنيورا) رأسها فى حزم ، قائلة :

ـ خطأ .. مادام يعرف موقعهما ، فلنستقبله هناك كما ينبغى ..

ثم التقطت سماعة هاتفها الخاص ، وضغطت أزراره بسرعة ، قبل أن ينعقد حاجباها ، وتقول فى حزم صارم :

ـ هنا (السنيورا) .. استمع جيدا إلى الأوامر الجديدة ، بعد قليل سوف ..

بترت عبارتها بغتة ، وكادت أصابعها الجميلة تعتصر سماعة الهاتف ، وهى تقول فى حدة غاضبة :

ـ ماذا ؟!

هبّت مساعدتها من مقعدها فى قلق ، وهى تسأل مضطربة :

ـ ماذا حدث هناك يا سنيورا ؟

ولكن (السنيورا) لم تجب ..

ولم يكن باستطاعتها أن تفعل ..

فما سمعته ، من الطرف الآخر للخط ، أثار ثورتها وغضبها ..

وإلى أقصى حد ..

* * *

انطلقت سيارة المخابرات المصرية فى قلب (نيويورك) ، مبتعدة عن الميناء ، وبداخلها يجلس (أدهم صبرى) مغلق العينين ، غارقا فى لجة من الأفكار ..

لقد تجاوز مرحلة دقيقة من الصراع ، ولكنه اضطر لترك (جيهان) خلفه ..

دائما يترك شخصا ما خلفه ، منذ بدأت تلك المهمة ..

فى البداية كان عليه أن يبحث عن السفير وزوجته ، بالإضافة إلى (منى) ..

والآن أصبح عليه أن يسعى لاستعادة (جيهان) أيضا ، و ..

« توقّف .. » .

انطلقت الكلمة من بين شفتيه بغتة ، وبلجة صارمة آمرة ، جعلت السائق يضغط فرامل السيارة فى قوة ، وينحرف بها إلى جانب الطريق ، و(ناشد) يسأل فى قلق :

ـ ماذا هناك يا سيادة العميد ؟!

اعتدل (أدهم) ، وهو يجيب فى حزم :

ـ سنتجه إلى عنوان خاص ، فى حى (هارلم) .

هتف (ناشد) والسائق فى دهشة بالغة :

ـ الآن .

أجاب (أدهم) فى صرامة :

ـ نعم .. الآن .. السفير وزوجته محتجزان هناك ، ولا ينبغى أن نضيع لحظة واحدة ، وإلا شعر الأوغاد الذين يحتجزونهما بالخطر ، وعملوا على نقلهما إلى مكان آخر .

انعقد حاجبا السائق ، وهو ينطلق ثانية بالسيارة ، فى اتجاه حى (هارلم) ، قائلا :

ـ هل تعلم ما الذى يعنيه دخول حى مثل (هارلم) ، بعد غروب الشمس ؟

أجابه (أدهم) فى حزم :

ـ نعم .. أعلم أنه واحد من أبشع أحياء الجريمة والعنف ، فى العالم كله ، ولكن ليس لدينا خيار .. هل تشعران بالخوف من خوض العملية الآن ؟

أجابه (ناشد) فى سرعة :

ـ بالتأكيد .. الشعور بالخوف أمام الخطر أمر طبيعى ، ولكنه لا يعنى أن نجبن عن القيام بالعمل .. أنت القائد هنا ، وسننفذ أوامرك دون مناقشة .

ثم استدار إلى السائق ، مستطردًا :

ـ انطلق بنا إلى (هارلم) .

غمغم السائق ، وهو يتحسس مسدسه فى اهتمام :

ـ إننا ننطلق إليه بالفعل .

سأل (أدهم) (ناشد) فى حسم :

ـ ألديك معلومات كافية ، حول العنوان الذى نتجه إليه ؟

ضغط (ناشد) زرًا فى باب السيارة ، فبرز جهاز كمبيوتر من ظهر المقعد المقابل له ، وهو يجيب :

ـ يمكننا أن نحصل فورًا على أية معلومات تنشدها .

أدلى إليه (أدهم) بالعنوان ، فأضافه بسرعة إلى الكمبيوتر ، الذى ارتسمت على شاشته خريطة لحى (هارلم) كله ، ثم تركَّزت عند العنوان ، و(ناشد) يقول :

ـ إنه مخزن قديم مهجور ، من طابق واحد ، له مدخل أمامى وآخر خلفى ، ويقود إليه طريق رئيسى ، ولقد ابتاعه مليونير مكسيكى ، منذ ثلاثة أشهر ، ويعتزم هدمه ، وبناء مجموعة من المبانى السكنية فى موضعه .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يغمغم :

ـ مخزن قديم مهجور ، وسط حى مكتظ بالسكان .. اختيار خبيث أيها الأوغاد .

ثم اعتدل على مقعده ، وشد قامته ، مستطردًا فى حزم :

ـ فليكن .. سنضع خطتنا الآن .

قال (ناشد) فى حذر :

ـ ألا تنتظر حتى تسترجع قواك ؟

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ـ الأوغاد لن ينتظروا حتى أفعل يا رجل .

وافقه (ناشد) بإيماءة من رأسه ، وعاد يجلس فى

مقعده صامتا ، والسيارة تنطلق نحو حى (هارلم) .. ونحو الخطر ..

* * *

أشعل حارس المخزن القديم سيجارته ، وراح ينفث دخانها فى استمتاع ، وهو يضع مدفعه الآلى على ركبته ، ويراقب ذلك الطريق ، الذى يقود إلى المكان مباشرة ، وتعلقت عيناه بزميله الضخم ، الذى اتجه نحوه فى خطوات مستهترة ، حاملا مدفعه الآلى على كتفه ، وهو يلوح بذراعه ، قائلا فى سخرية :

ـ لقد التقيت بواحدة من سيارات الشرطة ، وأنا فى طريقى إلى هنا ، ولكن الشرطيين داخلها تظاهرا بأنهما لم يلمحا مدفعى الآلى وانطلقا مبتعدين بأقصى سرعة .

انتقلت ابتسامته الساخرة إلى الأول ، الذى نفث دخان السيجارة بدوره ، قائلا :

ـ لا أحد يرغب فى التورط فى المشكلات العنيفة ، وخصوصا رجال الشرطة .

قهقه زميله ضاحكا فى ثقة ، واستند إلى جواره على الجدار ، وهو يقول :

ـ إنهم يدركون جيدا من سيواجهون يا رجل .

ثم أشار بإبهامه نحو المخزن ، مستطردا :

ـ قل لى : هل سنضطر لاحتمال هذا السفير المصرى وزوجته طويلا .. لقد سئمت غضبهما ، وحديثهما المتكرر عن الحريات والقانون .

مط الأول شفتيه ، قائلا :

ـ أنا أكثر ميلا منك لقطع لسانيهما ، ولكن الأوامر تحتم الاحتفاظ بالبضائع سليمة ، حتى تتضح الأمور .

أخرج زميله خنجرا ماضيا ، ولوح به فى مهارة ، وهو يقول :

ـ هل تعلم ؟!.. عندما تصل الأوامر بالتعامل معهما ، سأقطع لسان هذا السفير المتحذلق بنفسى .

كان يتوقع ردا مؤيدا من زميله ، ولكنه فوجئ به يعتدل بحركة حادة ، ويختطف مدفعه الآلى من فوق ركبته ، فاستدار بسرعة إلى حيث ينظر ، ولمح بدوره تلك السيارة ، التى تقطع الطريق ، متجهة إلى المخزن مباشرة ، فصوب إليها مدفعه الآلى ، قائلا فى عصبية :

ـ من هذا الأحمق الذى ..

قاطعه صوت سائق السيارة ، وهو يطل برأسه من نافذتها ، قائلا :

ـ مرحبا أيها السيدان .. لقد ضللت طريقى هنا .. هل يمكنكما إرشادى إلى الحى الصينى ؟!

بدا الشك على وجهيهما ، وأحدهما يجيب فى حدة :

- الحى الصينى بعيد عن هنا .. استدر ، وعد أدراجك ، وإلا ..

أوقف السائق السيارة ، وهبط منها ، وهو يسأل بابتسامة ساخرة :

- وإلا ماذا ؟!.. إننى أسأل عن عنوان فحسب ، ولست متسولا أو بائعا متجولا .

ارتفعت فوهتا المدفعين الآليين فى وجهه بصرامة وعصبية ، والرجل الآخر يقول :

- اسمع يا رجل ، لسنا مستعدين لمجرد المناقشة .. عد إلى سيارتك ، وابتعد عن هنا بأقصى سرعة ، قبل أن ..

لم يكن قد أتم عبارته ، عندما هوت الصاعقة على رأسه ورأس زميله بغتة ، ودون سابق إنذار ..

لقد انقض عليهما (أدهم) بغتة ، من جانب الطريق ، وأمسك معصم أحدهما ، وهو يقول :

- قبل أن يحدث ماذا ؟!

فى نفس اللحظة التى نطق فيها عبارته ، كانت قدمه تركل المدفع الآلى فى يد الحارس الآخر ، الذى انقض

عليه السائق ، وحطم فكه بلكمة كالقنبلة ، فى حين هتف الثانى ، وهو يحاول جذب معصمه من قبضة (أدهم) .

- أيها الـ ..

ولم يمنحه (أدهم) الفرصة ليكمل هتافه ..

لقد أخرسه بلكمة ساحقة ، طارت لها أسنانه الأمامية كلها ، ثم لوى ذراعه بحركة مدروسة ، فطار جسد الرجل فى الهواء ، وهوى على رأسه أرضا فى عنف ..

ومع سقوطه ، اعتصرت سبابته زناد مدفعه الآلى بحركة تلقائية ..

وانطلقت الرصاصات ..

ومع انطلاقها ، هب عشرة رجال من مواقعهم داخل المخزن ، وصرخ أحدهم :

- هجوم يا رجال .

وكما تنص أوامر (السنيورا) ، عند حدوث أى هجوم مباغت ، اندفع رجل آخر نحو الزنزانة ، التى يحتجزون فيها السفير وزوجته ، وهتف فى غضب عصبي :

- رجالكم فعلوا بكما هذا .. لقد وضعوا نهايتكما بأيديهم .

وجذب سلسلة معدنية رفيعة ، ليشعل جهاز توقيت خاص .

جهاز بدء العد التنازلى ، لتفجير عشرة كليو جرامات من المتفجرات البلاستيكية ، تكفى لنسف السفير وزوجته ، بعد فترة محدودة ..

فترة لا تزيد على نصف الدقيقة ..

نصف الدقيقة فحسب .

* * *



٥ - لحظات الخطر ..

انعقد حاجبا (جيهان) حتى قبل أن تفتح عينيها ، وهى تستعيد وعيها ، وتسمع ذلك الحديث ، الذى يدور بالإنجليزية ، على مسافة متر واحد منها ..

لم يكن ذهنها قد استعاد صفاءه ، إلى الحد الذى يكفى لاستيعاب كل كلمة فى الحوار ، إلا أنها استطاعت فهم المعنى الذى يدور حوله الحديث ..

كان أحد رجال الشرطة يتحدث مع زميل له ، حول فشل قوات الميناء فى العثور على (أدهم) ، وعجزها عن تحديد مصيره ..

وعندما فتحت عينيها ، كانت تبتسم فى ارتياح ، حتى إن المفتش (هانكس) عقد حاجبيه فى ضيق ، وهو يقول لها :

- إذن فقد استعدت وعيك ، وسمعت ما نقول .

تطلعت إليه (جيهان) لحظة فى صمت ، ثم سعلت وهى تنهض جالسة ، على طرف فراشها ، قائلة :

- أين أنا بالضبط ؟!

أجابها (هانكس) ، وهو يتراجع فى مقعده ،

ويتطلّع إليها فى شك حذر :

- نحن فى مركز طوارئ خاص بالميناء .

ثم صمت لحظة ، قبل أن يضيف ، وهو يزن كلماته جيدًا :

- لقد فرّ زميلك ، وتركك خلفه .

رفعت حاجبيها فى دهشة مصطنعة ، وهى تقول :

- زميلى ؟!.. أى زميل ؟!.. لقد كنت أزور تمثال الحرية ، مثل أى زائر عادى ، عندما حدث ما حدث .

سألها بسرعة :

- وماذا حدث ؟!

هزّت كتفيها ، قائلة :

- انفجارات ، وصراخ ، وعويل .. أعتقد أنه هجوم إرهابى .

سألها مرة أخرى :

- وهل كان (أدهم صبرى) مسئولاً عن هذا الهجوم ؟

انعقد حاجباها فى خبث ، وهى تسأله :

- (أدهم صبرى) ؟!.. ومن (أدهم صبرى) هذا ؟!.. لم أسمع هذا الاسم من قبل قط .

احتقن وجهه فى شدة ، وهبّ من مقعده ، صائحًا فى وجهها بغضب :

- اسمعى يا سيّدتى .. أسلوبك السخيف هذا لن ينجح فى خداع طفل معتوه .

كان يتوقّع منها التراجع مع المفاجأة ، ولكنها صاحت به فى صرامة أشدّ :

- اسمع أنت أيها المفتش .. أنا لست امرأة جاهلة أو ضعيفة .. أنا أعرف حقوقى هنا جيدًا ، وأعرف أنه ليس من حقك احتجازى دون وجه حق ، وإلا أقمت ضدك دعوى جنائية ، تكفى لتدمير مستقبلك كله ، ولتعلم أننى أحمل جواز سفر مصريًا وآخر سويسريًا ، وكلاهما قانونى تمامًا (*) كما أحمل تأشيرة دخول صحيحة إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وبطاقة خضراء مؤقتة ، تمنحنى حق الإقامة والعمل ، ولى ثلاثة من كبار المحامين هنا ، وكل منهم سيسعده أن أسند إليه ، قضية مضمونة ، ضد مفتش متحذلق ، من مفتشى المباحث الفيدرالية ، وسيضمن المزيد من الشهرة والنجاح ، وهو يفصلك من عملك ، ويمنعك من الحصول على وظيفة ساع فى أى مكتب حكومى ، وأمامك حلان لا ثالث لهما ، فإما أن تتهمنى رسميًا ،

(*) (مصر) تسمح لأبنائها ، الحاصلين على جنسيات أخرى ، بالاحتفاظ بالجنسية المصرية أيضًا .

فيحق لى عندئذ الاتصال بمحامىّ لا تخاذ ما يلزم ، أو تطلق سراحى على الفور ، فيتفادى كلانا المتاعب والمشكلات .. ما رأيك ؟

انعقد حاجبا (هاتكس) فى شدّة ، فى حين ران صمت رهيب فى المكان كله ، وعيون رجال الشرطة والأطباء وطاقم الإسعاف تتطلّع إلى (جيهان) فى دهشة ، ثم قطع أحد مفتشى الشرطة ذلك الصمت الرهيب ، وهو يتنحنح ، قائلا :

- هل سنتهمها رسميًا يا سيادة المفتش ؟!

أجابه (هاتكس) فى حدة ، وقد احتقن وجهه ، حتى صار أشبه بثمرة ناضجة من ثمار الطاطم :

- سنستجوبها فحسب .. هذا قانونى .. أليس كذلك ؟!

تنحنح الرجل ثانية ، وهو يقول :

- بالطبع .. يمكننا استجوابها كشاهدة .

قالت (جيهان) فى صرامة :

- ليس الآن .. مازلت أشعر بدوار ، وذهنى لم يصف بعد ، ولا يحق لك استجوابى ، قبل أن أتمالك نفسى تمامًا ، ولو أنك تصرّ ، فسوف ..

قاطعها (هاتكس) فى حسم :

- كلاّ يا سيّدتى . لست أصرّ على استجوابك الآن .

تطلع إليه الجميع فى دهشة ، فى حين ارتسمت على شفتى (جيهان) ابتسامة خبيثة ظافرة ، وهى تقول :

- عظيم .. سأترك لك عنوانى إذن ، وأعود إلى منزلى ، فكما سبق أن أخبرتك ، أحتاج إلى الراحة والهدوء ، لأستعيد صفاء ذهنى .

أجابها فى هدوء ضاعف من دهشة الجميع :

- بالتأكيد يا سيّدتى ، اتركى عنوانك ، وسنستجوبك عندما تستعيدين صفاء ذهنك كاملا .

تطلّع إليها زميله مستنكرا ، وهى تملى عنوانها لأحد رجال الشرطة ، وهمس له فى حنق :

- هل ستسمح لها بالانصراف ؟!.. إنها ستدلى بعنوان كاذب بالتأكيد !

قال (هاتكس) فى صرامة :

- أعلم هذا .. ولكنها الخيط الوحيد ، الذى يمكن أن يقودنا إلى (أدهم صبرى) هذا .. اتركها ترحل ، ولكن أرسل خلفها ثلاثة من أفضل رجالنا ، واطلب منهم مراقبتها طوال الوقت ، دون أن تغيب عن بصرهم لحظة واحدة .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

- وأخبرهم ألا ينسوا لحظة واحدة أنها محترفة .. محترفة بحق .

نطق كلمته الأخيرة ، وهو يراقب (جيهان) ، التى اتجهت إلى المخرج فى اعتداد وهدوء ، وتأكد لديه ذلك الإحساس القوى ، بأنها طرف الخيط الذى يمكن أن يقوده إلى (أدهم صبرى) ..

الخيط الوحيد ..

* * *

لم تكد رصاصات المدفع الآلى لحارس المخزن القديم تنطلق ، وتدوى فى المكان ، حتى هتف السائق :

- رباه !.. لقد انكشف الأمر .

قفز (أدهم) إلى السيارة ، قائلا فى حزم :

- دعنا لا نضيع الوقت إذن .

ارتفع حاجبا السائق فى دهشة ، وهمّ بقول شىء ما، وهو يستلّ مدسه من حزامه ، إلا أنه أدرك ما يسعى إليه (أدهم) ، فأفسح الطريق أمام السيارة ، وهو يغمغم :

- كما تأمر يا سيادة العميد .

انطلق (أدهم) بالسيارة ، وانقضّ على المدخل الأمامى للمخزن فى بسالة مدهشة ، واخترقه بدوى عنيف ، وهو يطلق رصاصات مسدسه فى إحكام ..

كانوا عشرة رجال ، يحملون المدافع الآلية ، اندفع

أحدهم ليشعل القنبلة الموقوتة ، المتصلة بزنزانة السفير وزوجته ، فى حين استعدّ التسعة الآخرون للتصدّى للهجوم ..

وعلى الرغم من كراهية (أدهم) التقليدية للقتل والتدمير ، إلا أن الموقف لم يكن يحتمل حلاً آخر ..

لذا فقد اقتحم المدخل بالسيارة ، وأطلق رصاصاته نحو الرجال بلا تردُّد ..

وانطلقت رصاصات المدافع الآلية نحو السيارة فى غضب ، ولكن رصاصات (أدهم) أسقطت ثلاثة من الرجال العشرة فى اللحظة الأولى للهجوم ، فى حين وثب السائق داخل المخزن ، وحصد اثنين آخرين برصاصات مسدسه ، قبل أن يصاب برصاصة فى ذراعه ، وأخرى فى كتفه ..

واشتعلت النيران فى السيارة ..

وفى نفس اللحظة ، نسف (ناشد) باب المخزن الخلفى ، واشترك فى الهجوم ..

ووثب (أدهم) من السيارة المشتعلة ، وتدحرج أرضًا فى مهارة ، وهو يطلق مسدسه نحو الرجال ، الذين أسقط (ناشد) اثنين آخرين منهم ، ومع هجومه الخلفى المباغت ، أصاب اثنين آخرين ، فى حين

استدار الأخير يطلق رصاصة نحو (ناشد) ، صارخا :

- لن تنجحوا .. القنبلة ستنفجر خلال ثوان ، وستنسف السفير وزوجته نسفا ، وترسلهما معك إلى الجحيم .

أصابت الرصاصة (ناشد) فى صدره مباشرة ، ودفعته لمتر إلى الخلف ، ولكنه اعتدل فى سرعة ، وهو يطلق رصاصته نحو الرجل ، هاتفا :

- لا تشغل نفسك بهذا الأمر أيها الوغد .. لن أذهب إلى الجحيم .

اخترقت رصاصته رأس الرجل ، وأسقطته جثة هامدة ، و(ناشد) يبتسم فى سخرية ، ويدق بقبضته على صدره مستطردا :

- إننى أرتدى درعا واقية .

أما (أدهم) ، فقد اندفع نحو زنزانة السفير وزوجته ، وسمع هذا الأخير يقول بيأس :

- لا فائدة يا أبنائى .. اهربوا بسرعة .. القنبلة ستنفجر بعد أقل من عشرين ثانية .

كانت زوجة السفير منهارة تماما ، والسفير يبدو شاحبا ممتقعا ، ولكن (أدهم) لم يلق بالا لكل هذا ، وإنما التقى حاجباه ، وهو يتطلع إلى القنبلة ، التى ثبتها المجرمون فى الركن البعيد للزنزانة ، والتى

أشارت شاشتها المصنوعة من الكوارتز إلى أن الوقت المتبقى ، قبل الانفجار ، لايتجاوز ثمانى عشرة ثانية فحسب ..

ونقل (أدهم) بصره إلى رتاج الزنزانة ، وفحصه فى جزء من الثانية ، قبل أن يسأل زوجة السفير فى عجالة :

- هل تضعين مشبكا للشعر فى رأسك يا سيدتى ؟!

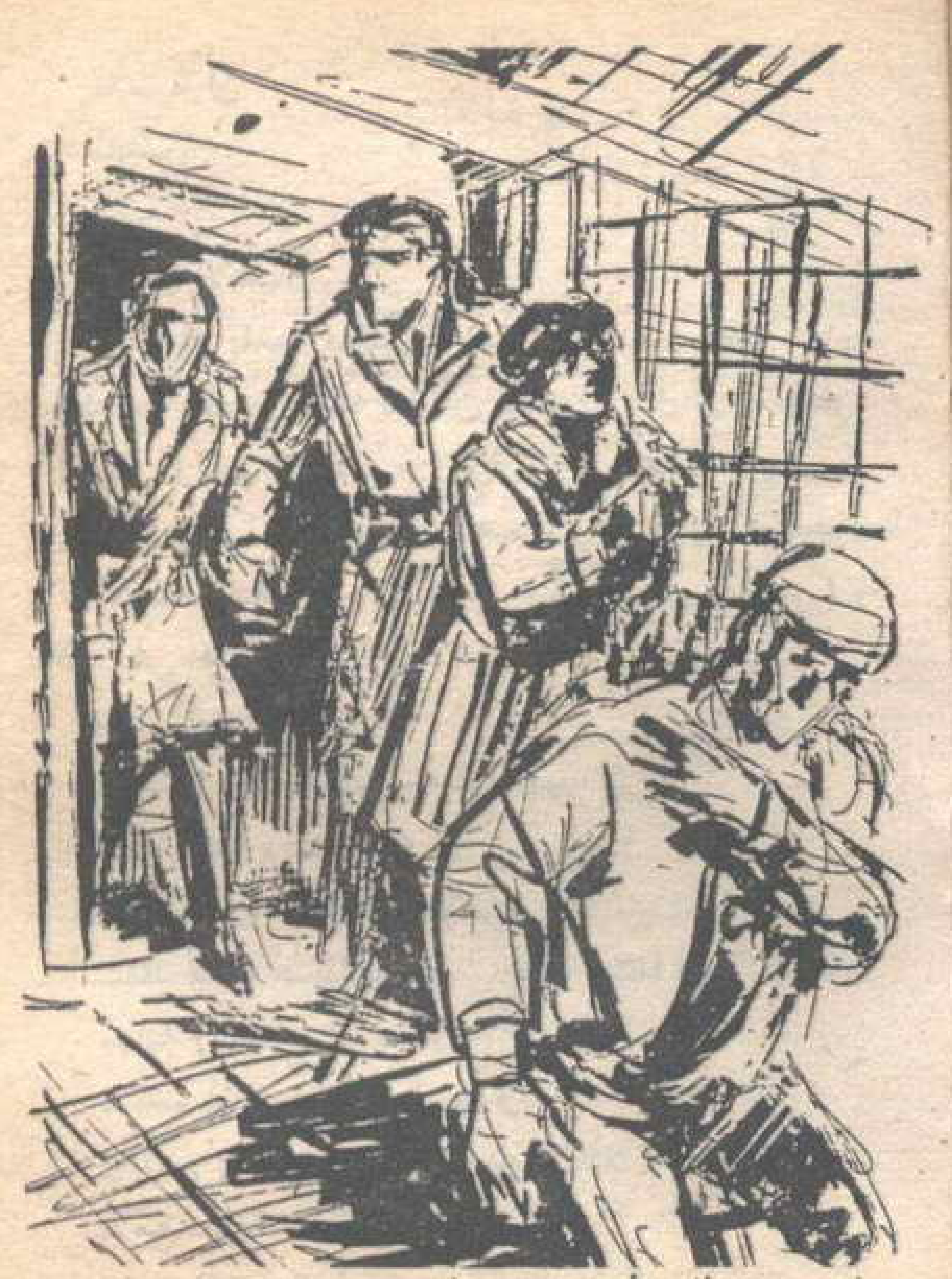
تطلعت إليه الزوجة المنهارة فى دهشة ، فمدّ يده إليها ، مستطردا فى حزم :

- أعطينى إياه بسرعة يا سيدتى ، فليس أمامنا ما يكفى من الوقت .

انتزعتها لهجته الصارمة الحازمة من انهيارها ، فانتزعت المشبك من شعرها فى سرعة ، والتقطه منها زوجها ، وناوله إلى (أدهم) ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

وفى سرعة وثقة ، فرد (أدهم) مشبك الشعر ، ودفع طرفه فى ثقب الرتاج ، وعيناه تتابعان شاشة الكوارتز ، التى تشير إلى أن الوقت المتبقى صار إحدى عشرة ثانية فحسب ..

وتجمّد السائق و(ناشد) فى مكانيهما ، وتبادلا نظرة



فى حين اختطف (أدهم) زوجة السفير ، وجذب زوجها من يده .

شديدة التوتر ، وهما يشتركان مع السفير وزوجته فى التطلع إلى يد (أدهم) ، التى تعالج الرتاج فى سرعة ومهارة ، والأرقام تتتابع تنازليًا على شاشة الكوارتز فى سرعة مخيفة ..

عشر ثوان ..

تسع ..

ثمان ..

سبع ..

ست ..

وأصدر الرتاج تكة خافتة ..

وفى نفس اللحظة التى التقطت فيها أذنا (أدهم) تلك التكة الخافتة ، جذب باب الزنزانة فى قوة ، وهو يهتف :

ـ أسرعا .

انطلق السائق و(ناشد) يعدوان خارج المكان ، والدماء تغرق كتف وذراع الأول ، فى حين اختطف (أدهم) زوجة السفير ، وجذب زوجها من يده ، مستطردًا فى توتر :

ـ بأقصى سرعة يا سيدتى .. بأقصى سرعة .

كان سباقًا رهيبًا ، بينهم وبين شاشة الكوارتز ، التى تواصل عدها التنازلى المخيف ..

ثلاث ثوان ..

ثانيتان ..

ثانية ..

ودوى الانفجار ..

كانوا قد بلغوا مدخل المخزن ، عندما حدث هذا ، فدفعهم الانفجار أمامه لمترين كاملين ، قبل أن يسقطوا أرضًا ، والنيران تندلع من الزنزانة فى عنف ..

ولثوان ، لم يتحرك أحدهم ، والشظايا الصغيرة المشتعلة تتناثر فى كل مكان ، ثم نهض (أدهم) ، قائلا فى اهتمام :

ـ هل الجميع بخير ؟!

سعلت زوجة السفير ، وهى تجيب :

ـ أنا بخير والحمد لله .

أما السفير ، فقال فى امتنان :

ـ لقد أنقذت حياتنا يا رجل .. كيف يمكننا أن نشكرك ؟

أجابه (أدهم) فى حسم :

ـ كنت أؤدى واجبى يا سيدى .

وابتسم (ناشد) ، وهو ينهض قائلاً :

ـ مع تحيات المخابرات المصرية .

هتفت زوجة السفير مبهورة فى انفعال .

ـ المخابرات المصرية ؟!.. كان ينبغى أن ندرك هذا .. أنتم أبطالنا .. أنتم خيرة رجالنا .

قال (أدهم) :

ـ أشكرك يا سيدتى ، ولكن لا وقت للمجاملات ، فالانفجار سيجذب الدنيا كلها إلى هنا حتمًا ، ولست أشعر بالفخر كثيرًا للمذبحة التى اضطررنا إليها لإنقاذكم ، ولكن ما باليد حيلة .

ثم التفت إلى السائق ، مستطردًا :

ـ هل يمكنك القيادة ، مع إصاباتك هذه ؟

ابتسم السائق ، قائلا :

ـ إنها إصابات بسيطة ، بالنسبة لما واجهته فى عملية (الأرجنتين) .

قال (أدهم) :

ـ عظيم .. ستتولى إذن نقل سعادة السفير والسيدة زوجته إلى مكتبنا هنا ، وعليك أن تتولى عملية التأمين والحراسة يا (ناشد) ، حتى يتم إعلان نجاتهما رسميًا .

سأله السفير فى دهشة :

ـ ألن تصحبنا ؟!

أجابه (أدهم) :

ـ حتى نغادر حى (هارلم) فحسب ياسيادة السفير ، فما زال أمامى عمل مهم ينبغى إنجازه ، و ...

قاطعه فجأة رنين متصل لهاتف ، فارتفع حاجبا (ناشد) وهو يقول :

- هاتف هنا ؟!.. أما زال هناك شىء سليم فى هذا المخزن .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يتجه إلى مصدر الصوت ، وأزاح لوحًا خشبيًا محترقًا ، ثم انحنى يلتقط سمّاعة الهاتف الملقى أسفله ، ولم يكد يضعها على أذنيه ، حتى سمع صوتًا أنثويًا صارمًا ، يقول :

- هنا (السنيورا) .. استمع جيدًا إلى الأوامر الجديدة ، بعد قليل سوف ..

قاطعها (أدهم) فى توتر :

(السنيورا) ؟!.. أنت (السنيورا) ؟!

ميّزت أذناها صوته على الفور ، وكادت أصابعها الجميلة تعتصر سمّاعة الهاتف وهى تقول فى حدة غاضبة :

- ماذا ؟!

تفجرّت موجة عنيفة من الحنق فى أعماق (أدهم) ، ولام نفسه ألف مرة فى ثانية واحدة ؛ لأن انفعاله سبقه ، فلم يمنحها وقتًا كافيًا للحديث ، بما يمكن أن يكشف أمرها ، وتحوّل كل هذا الحنق إلى صوته ، وهو يقول :

- لم يعد هناك من يستمع إلى الأوامر الجديدة ، أو ينفذ حتى الأوامر القديمة .. رجالك بذلوا قصارى جهدهم ، ولكننا سحقناهم فى ثوان معدودة ، كما لو كانوا حشرات تافهة ، فى مواجهة مبيد حشرى قوى .. حتى المخزن لم يعد له وجود .. لقد انفجرت القنبلة فى موعدها ، ولكنها لم تجد ما تلتهمه لسوء حظك وتخطيطك .. سيادة السفير وزوجته بخير حال .

احتقن وجهها بشدة ، حتى إن مساعدتها شعرت بالقلق نحوها ، قبل أن تسمعها تقول بصوت متحشرج مغموس بالانفعال :

- ولكن (منى) ليست كذلك .

انعقد حاجبا (أدهم) فى غضب شديد ، وانطلقت ثورته كلها عبر شفتيه ، وهو يقول :

- اسمعى أيتها الحقيرة .. لو مسست شعرة واحدة من رأس (منى) ، فسوف ..

قاطعته (السنيورا) ، وقد نفضت عن نفسها المرارة والحنق ، واستعادت روحها الغاضبة المتحدية :

- شعرة واحدة ؟!

ثم أطلقت ضحكة ساخرة مجلجلة ، اخترقت أذنه كرصاصة طائشة ، قبل أن تتابع فى مقت صارم :

- إننى أمتلك رأسها كله الآن أيها المتحذلق المغرور ، وسأفعل به كل ما يحلولى .. ولنر من سيضحك أخيرًا يا (أدهم) .. سنرى من ينتصر فى النهاية .

صاح فى غضب :

- لقد حذرتك أيتها الـ ..

ولكنها أنهت المحادثة ، قبل أن يكمل عبارته ..

أنهتها ، وقد أشعلت فى أعماقه نيرانًا لا تنطفئ أبدًا ..

ولعل أعنف ألسنة اللهب ، التى تصاعدت إلى رأسه ، كانت تحمل صوتها ..

إنه صوت مألوف بالتأكيد ..

ولكنه ليس صوت (سونيا جراهام) ..

ليس كذلك أبدًا ..

* * *

دلفت (جيهان) فى خفة إلى أحد المنازل الآمنة ، للمخابرات العامة المصرية ، فى قلب (نيويورك) ، وأغلقت الباب خلفها فى حذر ، ثم سارت على أطراف أصابعها إلى النافذة ، دون أن تضىء الردهة ، وألقت نظرة عبرها على الشارع الواسع ، قبل أن تبتسم فى ثقة ، مغمغمة :

- معذرة أيها المفتش العبقرى ، لقد نجحت فى خداع الرجال الذين أرسلتهم خلفى ، وفررت منهم ، ولاريب

فى أنهم يضربون أخماسًا فى أسداس الآن ، ويفكرون فى الحجة التى يمكنهم إقناعك بها ، بعد فشلهم فى تتبعَى .

ثم التفتت إلى سمَّاعة الهاتف ، والتقطتها ، وضربت الأزرار برقم (ناشد) ، واستمعت إلى الرنين فى الطرف الآخر لثوان ، قبل أن يبدأ جهاز الرد الآلى عملَه ، قائلاً بصوت مندوب المخابرات ، وباللغة الإنجليزية :

- هنا منزل (ناشد منير) ، أعتذر عن عدم وجودى بالمنزل ، وأرجو ترك رسـ ...

أنهت (جيهان) المحادثة ، قبل أن تكتمل الرسالة الآلية ، وغمغمت فى قلق :

- أين أنت يا (ناشد) ؟!.. تُرى هل اتصل بك (أدهم) قبلى ؟!

كانت تشعر بقلق بالغ على (أدهم) ، منذ استعادت وعيها فى حجرة الطوارئ ، وأدركت أنه قد اضطر لتركها خلفه ، بعد ان أنقذها من الموت غرقًا ، فى مقياس المدّ والجذر ..

وكان قلقها عليه عنيفًا مزدوجًا ..

قلق الزميلة على مصير زميل عملها ورفيق مهمتها ..

وقلق امرأة على الرجل الذى منحته قلبها ، والذى لم تحب فى حياتها كلها سواه ..

وبكل مشاعر الأولى وعواطف الثانية ، هتفت بصوت متهدِّج :

- ساعده يا إلهى !.. أعده إلىَّ سالمًا .

تسللت صورة (منى) بغتة ؛ لتقتحم مشاعرها ، وتسيطر على ذهنها ، فتابعت فى مرارة :

- حتى ولو كان لغيرى .

تجمَّعت فى عينيها دمعة ساخنة كبيرة ، وهى تجاهد لطرد صورة (منى) من ذهنها ، بعد أن امتزجت بصورة (أدهم) ، وتحوَّلا معًا إلى شعار للحب العميق الناضج ، ولكن تلك الدمعة هزمتها ، وانحدرت على خديها ؛ لترسم فوقها نهرًا من الحزن والأسى ، وهى تكرِّر فى مرارة أكثر :

- أعده إليها .. المهم أن يعود سالمًا .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى التقطت أذناها صوتًا خافتًا ، لمفتاح يدور فى ثقب الباب ، فهبت من مقعدها ، وطرحت مشاعرها كلها جانبًا ، وتمتمت فى شىء من الحنق :

- اللعنة !.. المسدس ليس فى متناول يدى .

قالتها ، وهى تدفع جسدها فى رشاقة إلى ما خلف الباب ، فى نفس اللحظة التى انفتح فيها ، وعبره شخص ما ، تجاهل إضاءة الردهة بدوره ، وتقدَّم داخلها ، وأغلق الباب خلفه ، و...

وفجأة ، انقضَّت عليه (جيهان) من الخلف ..

كانت انقضاضتها قوية مباغتة ، إلا أن الرجل تحرَّك بخفة مذهلة ، فانحنى متفاديًا الانقضاضة فى سرعة ، ثم دار على عقبيه فى مهارة ، لا ينافسه فيها أبرع راقصى الباليه ، وقبض على معصم (جيهان) ، ثم لواه فى سرعة ، ويده تمتدّ لتضغط زر الإضاءة ، و ...

(أدهم) ؟!..

انطلق اسمه كالصرخة من أعماقها ، حاملاً كل الفرح والسعادة والحب ، ولم يكد يفلت يدها ، وهو يمنحها ابتسامة ودود ، حتى قفزت تتعلق بعنقه ، هاتفة :

- حمدًا لله .. لقد استجاب لدعائى ، وأعادك إلىَّ سالمًا .

حافظ على ابتسامته الهادئة الودود ، وعلى مسافة مناسبة بينهما ، وهو يقول :

- إذن فقد نجوت .

تراجعت هاتفة فى مرح :

- نعم .. المفتش (هاتكس) حاول التأثير علىَّ بصوته الجهورى ، ولكننى ثرت فى وجهه ، وأربكته ، وأجبرته على أن يطلق سراحى .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يقول :

- أطلق سراحك ؟!.. عجبًا !. تصوّرت أنك هربت منهم .

ضحكت قائلة :

- لقد فعلت .. (هاتكس) أرسل رجاله خلفى ، ولكننى خدعتهم ، ونجحت فى الفرار منهم ، وأتيت إلى هنا مباشرة .

كانت تشعر بسعادة غامرة لعودته ، وتتمنى لو ألقت نفسها بين ذراعيه ، ولكنها تقاوم هذه الرغبة فى شدة ، مدركة محاولته المهذّبة الرقيقة لتفادى حدوث هذا ، وهو يتّجه نحو النافذة ، فسألته ، وهى تتابعه ببصرها فى شغف :

- كيف نجوت أنت منهم ؟.. وماذا فعلت ؟!.. هل عرفت أين يضعون السفير وزوجته ؟!

أجابها فى هدوء ، وهو يزيح ستارة النافذة فى حرص ، ويتطلّع من خلفها إلى الشارع :

- السفير وزوجته فى أمان الآن .

اتسعت عيناها فى انبهار ، وهى تهتف :

- هل أطلقت سراحهما ؟!.. يالك من رجل !

انعقد حاجباه فى شدة ، دون أن يجيب ، فاتجهت نحوه ، قائلة فى حماس :

- التفاصيل .. أخبرنى بالتفاصيل كلها .. كيف توصّلت إليهما ؟ وكيف ..؟

قاطعها ، وهو يحتجزها بغتة ، قبل أن تبلغ النافذة ، ويقول فى صرامة :

- يبدو أنك تحتاجين إلى دورة إضافية ، فى كيفية الفرار من التتبُّع والمراقبة أيتها النقيب .

التقى حاجباها الجميلان ، وهى تقول فى توتر :

- ماذا تعنى ؟

جذبها فى حرص إلى النافذة ، دون أن يجيب ، فقفز توترها بغتة إلى ذروته ، وهى تحدّق فى الشارع ، عبر فرجة الستارة الصغيرة ..

فهناك ، وعلى نحو شديد الدقة والتنظيم ، كان فريق من رجال الشرطة يضرب حصارًا حول البناية ، التى تحوى ذلك المنزل الآمن ..

وفى مواجهة النافذة مباشرة ، وعلى نحو سافر ، يفيض بالشماتة والتحدى ، وقف رئيس ذلك الفريق ، ونظرة ظافرة واثقة تطلّ من عينيه ..

وكان هذا الرئيس هو (هاتكس) ..

مفتش المباحث الفيدرالية (دين هاتكس) .. شخصيًا .

* * *

٦ - الحصار ..

نقر مدير المخابرات العامة المصرية بأطراف أصابعه ، على مائدة الاجتماعات ، وهو يدير عينيه فى وجوه نخبة من أفضل وأبرع رجال المخابرات ، وقد ران على المكان صمت رهيب ، إلا من دقات ساعة الحائط ، التى تعلن تمام الثانية والنصف ، بعد منتصف الليل ، ولم تكد آخر دقة تتلاشى ، حتى قال المدير فى حزم :

- وهكذا يتضح لكم أيها السادة ، أن الموقف قد بلغ بالفعل ذروة التشابك والتعقيد ، وتداخلت خيوطه وأطرافه ، حتى بات من العسير العودة به إلى المسار الطبيعى .

اندفع أحدهم ، قائلاً فى ضيق :

- (ن - ١) هو المسئول عن كل هذه التعقيدات يا سيدى .. إنه لا يلتزم أبدًا بالخطة الموضوعة ، التى يدرسها ويعدها طاقم من أفضل خبرائنا ، ويرفض دومًا اتباع القواعد المعروفة فى عالمنا ، والتى تحكم أساليب العمل ونظم الأمن ، وهو بذلك يربك العملية كلها ، ويؤدى بها إلى طريق مسدود .

قال المدير فى هدوء :

- ولكنه يخرج من هذا الطريق المسدود فى كل مرة ، وينجح فى تحويل الهزيمة إلى نصر رائع ، يبهر العدو قبل الصديق .

قال رجل مخابرات آخر :

- هذا صحيح يا سيادة المدير .. كلنا نعترف بأن (ن - ١) هو أكثرنا حنكة وبراعة ، ولكن أسلوبه فى العمل أشبه بأساليب المغامرين ، وفرسان العصور الوسطى ، وليس بالقواعد المعروفة فى عالم المخابرات .

بدا الضيق على ثالث ، وهو يضيف :

- لقد تجاوز الحدود بالفعل ، فى هذه العملية الأخيرة ، وكسر كل القواعد بلا هوادة ، وعلى نحو أثار استفزازنا جميعًا بشدة .. من يصدق أن يقاتل رجل مخابرات محترف على شاشات (التلفزيون) ، من خلال محطة يتم بثها فى العالم كله تقريبًا ؟!

تراجع المدير فى مقعده ، قائلا :

- لا أحد يمكن أن يصدق هذا .

ثم ضاقت عيناه ، وهو يستطرد فى عمق ، وكأنما يحدث نفسه :

- وربما كان هذا ما يعتمد علية (أدهم) .

تبادل الرجل نظرة متسائلة ، حولها أحدهم إلى كلمات مسموعة ، وهو يقول :

- هل لك أن توضح لنا ما تعنيه بقولك هذا يا سيادة المدير ؟

عاد المدير يميل إلى الأمام ، قائلا فى اهتمام :

- (أدهم صبرى) يدرك جيدا كمحترف ، أن أحدا فى العالم لن يصدق أبدا أن رجل مخابرات محترف ، يمكن أن يعمل بهذه العلانية ، وربما كان هذا ما يعتمد عليه تماما ، فى إصراره على التعامل بهذه الوسيلة .. إنه يعلم جيدًا أن كل رجال المخابرات فى العالم يعرفونه جيدا ، وأنهم لن يعلنوا هذا ، حتى لا يضطروا لتبرير سبب استمراره فى عمله ، بعد معرفتهم له ؛ لأن السبب عندئذ سيكون واضحا ، وسيصبح بمثابة إعلان لهزائمهم المتكررة أمامه وأمامنا .. إذن فالمشكلة الحقيقية ليست مشكلة بين المحترفين بعضهم وبعض ، ولكنها مشكلة محترف واحد ، وهو رجلنا (أدهم) ، مع النظام الإعلامى الأمريكى ، وهى مشكلة يمكن حلها .

سأله أحد الرجال فى توتر :

- كيف ؟!

صمت المدير لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

- اترك هذه المهمة للرجل الذى صنع المشكلة .

تبادل الرجل نظرة تحمل مزيجا من الشك وعدم الارتياح ، قبل أن يقول أحدهم بتلك الصراحة المطلقة ، التى تميز اجتماعات رجال المخابرات دائما :

- لو أردت رأيى يا سيدى ، وأعتقد أنه يتفق مع رأى باقى الزملاء ، فنحن نرى أن النجاح لا يحالف العميد (أدهم) هذه المرة ، فمن الواضح أنه يواجه جهات عديدة فى آن واحد ، وأن هذا يرهقه بشدة ، ويفرض عليه القتال طوال الوقت بلا هوادة ، وعلى الرغم من ثقتنا فى بقدرته على مواجهة كل القوى ، والتصدى لكل المصاعب والمتاعب ، إلا أن قواعد العمل هنا تحتم البحث عن بديل ، لإكمال المهمة الرئيسية على الأقل ، فما زال سفيرنا وزوجته مختطفين فى مكان ما من الولايات المتحدة الأمريكية ، ومازال الموقف غامضا معقدًا .

التقى حاجبا المدير ، وهو يقول :

- إذن فأنتم تقترحون إسناد العملية لشخص آخر .

ارتفعت همساتهم بالموافقة ، فتنهد المدير فى أسف ، وهو يغمغم :

- أعتقد أنه لم يعد هناك مفر من هذا .

ثم شد قامته ، واعتدل فى مقعده ، وهو يكمل فى حزم :

- فليكن أيها السادة ، سنـ ..

قاطعه فجأة رنين هاتفه الخاص ، فالتقط سماعته بحركة آلية ، ووضعها على أذنه ، وهو يقول فى حزم :

- من المتحدث ؟

التقى حاجباه فى شدة ، وتألقت عيناه على نحو أثار اهتمامهم جميعًا ، مع قوله المفعم بالحماس :

- هكذا ؟!.. عظيم .. عظيم .

تعلقت أنظار الجميع به ، وهو ينهى المحادثة القصيرة ، ويبتسم فى ارتياح ، مديرًا عينيه فى وجوههم مرة ثانية ، قبل أن يقول :

- العميد (أدهم صبرى) أتمّ المهمة الرئيسية بنجاح .

تفجرت هتافات خافتة فى المكان ، وهو يتابع :

- سفيرنا وزوجته بخير حال ، وهما فى مكتبنا الآن ، تحت حماية وحراسة رجالنا ، وسيتم نقلهما على الفور إلى سفارتنا فى (واشنطن) ، بطائرة خاصة ، حيث سيعقد مؤتمر صحفى ، فى العاشرة مساء بتوقيت (واشنطن)(*) ، لإعلان نجاتهما ، من خلال بيان رسمى .

(*) التوقيت فى (القاهرة) يسبق التوقيت فى العاصمة (واشنطن) بسبع ساعات كاملة .

تعالت هتافات الجميع مهنئة ، ثم سأل أحدهم فى قلق :

- وماذا عن العميد (أدهم) ؟

ابتسم المدير ، وهو يقول :

- لقد وضع فكرة البيان الرسمى بنفسه، وعندما تستمعون إليه ستعرفون أن (ن - ١) هذا عبقرى بحق .

سأله الرجل فى اهتمام :

- المهم : أهو بخير ؟!

أجاب المدير فى حسم :

- لقد انتهى من مهمته الرسمية بنجاح يا رجل .

ثم شرد ببصره لحظة ، قبل ان يضيف :

- وسينطلق الآن ليخوض حربه الخاصة .

وصمت لحظة أخرى ، ثم امتلأ صوته بقدر هائل من الحزم والحماس والحسم ، وهو يكمل :

- الخاصة جدًا ..

* * *

اتسعت عينا (جيهان) ، فى دهشة وتوتر ، وهى تتابع حركة رجال الشرطة ، وهم يحاصرون المنزل ، وقالت فى عصبية :

- ولكن كيف ؟!.. لقد راوغتهم جيدًا ، وتأكدت تمامًا من أنهم فقدوا أثرى ، ومن أن أحدًا لم يتبعنى إلى هنا .

انعقد حاجبا (أدهم) لحظة ، ثم سألها فى اهتمام :

- أين وجدت نفسك ، عندما استعدت وعيك ؟

أجابته فى سرعة :

- فى وحدة طوارئ الميناء .

سألها :

- وهل كنت ترتدين حذاءك عندئذ ؟

أجابت فى شىء من الحيرة :

- كلا بالطبع .. لقد كنت فاقدة الوعى ، و ...

وانتبهت فجأة إلى ما يعنيه ، فاتسعت عيناها ، وهتفت :

- رباه !.. هل تعنى ؟

وانحنت تلتقط حذاءها ، وتفحصه فى توتر ، فجذبه (أدهم) منها فى رفق ، وجذب كعبه فى قوة ، فانتزعه من موضعه ، والتقط من أسفله جهاز إرسال صغير ، فانعقد حاجباها فى غضب ، وهى تهتف :

- ذلك الوغد .

أجابها (أدهم) ، وهو يلقى الجهاز فى جيبه ، ويعيد إليها الحذاء :

- الرجل يؤدى واجبه جيدا .

انتزعت كعب فردة الحذاء الثانية ، وألقته فى غضب ، وهى تقول :



وجذب كعبه فى قوة ، فانتزعه من موضعه ، والتقط من أسفله جهاز إرسال صغيرا ، فانعقد حاجباها فى غضب ..

- أمن المفترض أن أصفق إعجابًا بعمله .

أمسك (أدهم) كتفيها بقوة ، وتطلَّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول فى حزم صارم :

- استمعى إلىَّ جيدًا يا (جيهان) ، وأطيعى أوامرى دون مناقشة .

أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تتطلَّع فى عينيه مبهورة ، فتابع بسرعة :

- غادرى هذا المنزل على الفور ، واتجهى مباشرة إلى المنزل الآمن التالى فى الترتيب .. لقد انتهت مهمتنا الرئيسية ، ويمكنك العودة إلى (القاهرة) أو إلى (جنيف) أيهما ترغبين ، ووقتما تريدين .

قالت فى إصرار :

- لن أرحل دونك .

قال فى حزم :

- فليكن .. لن نناقش هذا الآن .. اذهبى إلى المنزل الآمن التالى وسألحق بك هناك بإذن الله .

قالت فى توتر :

- ماذا ستفعل ؟!. إنك تحمل جهاز الإرسال فى جيبك .. سيطاردونك بلا رحمة أو شفقة .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول فى صرامة :

- قلت : بلا مناقشة أيتها النقيب .. هل تفهمين ؟

بدا التردُّد فى عينيها لحظة ، فكرَّر فى حدة :

- هل تفهمين أيتها النقيب ؟

ازدردت لعابها فى صعوبة ، وهى تغمغم :

- أفهم يا سيادة العميد .. أفهم .

ترك كتفيها ، وتراجع قائلا :

- هيا .. اذهبى إذن .. وبأقصى سرعة .

ألقت عليه نظرة مغرورقة بالدموع ، ثم انطلقت تعدو مغادرة المكان ، فتابعها ببصره بضع لحظات ، ثم عاد يلقى نظرة على (هانكس) ، عبر فرجة ستارة النافذة ، وابتسم فى سخرية ، قائلا :

- الآن أصبحت المعركة بينى وبينك يا عزيزى (هانكس) .. وربما كان هذا من سوء حظك .

قالها ، وانطلق يغادر المنزل بدوره ، ويصعد إلى سطحه ، ووجهه يحمل نفس الابتسامة ، التى تجمع ما بين الحزم والسخرية ، و ...

والصلابة ..

* * *

« الهدف غادر مكمنه .. »

انعقد حاجبا المفتش (هانكس) فى شدة ، عندما

نطق فنى التتبُع هذه العبارة ، والتفت إليه فى حدة قائلا :
- ماذا تعنى .
أشار الرجل إلى شاشة زرقاء ، فى سيارة المطاردة ، وهو يقول :
- جهاز الإرسال الذى زرعته فى حذاء تلك المرأة ، يرسل إشارة تؤكد أنه ينتقل إلى البناية المجاورة .
هتف (هانكس) فى عصبية :
- مستحيل !.. لا يمكن أن نسمح لهما بالفرار الآن .. لقد رصد مراقبونا ذلك الرجل ، وهو يلحق بالمرأة هنا ، ولا ريب فى أنهما قد انتبها إلى الحصار، ويسعيان للهرب.
ثم التفت إلى رجاله ، صائحًا :
- انتشروا حول المبنى المجاور .. الهدف يحاول الفرار .
قال الفنى فى اهتمام :
- الهدف انتقل إلى مبنى آخر ، خلف هذا المبنى المجاور ، ويهبط فى درجات السلم بسرعة .
صاح (هانكس) ، وهو يقفز إلى سيارة المطاردة :
- أسرعوا يا رجال .. إلى المبنى الخلفى .
انطلقت السيارة تدور حول المكان ، وبداخلها فنى المتابعة ، يراقب شاشة الرصد ، قائلاً :

- لقد هبط إلى أسفل البناية ، ويتحرك فى نطاق محدود هناك .
انعقد حاجبا (هانكس) ، وهو يجذب مشط مسدسه ، ويغمغم :
- لن يمكنه الفرار هذه المرة .. إننا نحاصر المنطقة كلها .
دارت السيارة مع الرجال ؛ لتقف أمام المبنى الخلفى ، الذى يحتلّ واجهته متجر ضخم شهير للعب الأطفال ، وهتف (هانكس) برجاله :
- انتشروا حول المكان ، ولا تسمحوا لذبابة بالخروج من نطاق الحصار ، إلا بأمر مباشر منى .
تحرك رجال الشرطة فى نشاط ، وهم يحملون مدافعهم الآلية ، ويرتدون دروعهم الواقية من الرصاصات ، والخوذات المصفحة ، وحاصروا المبنى الخلفى ، ولكن الفنى هتف :
- رباه .. إنه ينطلق فى الشارع المجاور ، وبأقصى سرعة .
هتف (هانكس) فى دهشة :
- كيف ؟!.. لا يوجد مخرج من هذا المبنى إلى الشارع المجاور !!
صاح الفنى :

ـ لست أدرى كيف ، ولكن من الواضح أنه يجرى هناك .

تصاعدت دهشة (هانكس) لحظة ، وهو يحدّق فى تلك النقطة الحمراء على الشاشة ، التى تتحرك مبتعدة فى سرعة ، ثم صاح :

ـ خلفه يا رجال .. ذلك الشيطان يحاول الفرار ثانية .

ومرة أخرى ، انطلق الرجال وسيارة التتبّع خلف الهدف ، وداروا حول مجموعة المبانى كلها ؛ ليلحقوا به فى الشارع الرئيسى ، ثم إلى شارع جانبى ضيق ، وهتف أحد رجال الشرطة :

ـ لقد وصلنا إلى الشارع الجانبى .. أما زال هنا ؟

صاح الفنى فى دهشة :

ـ ألا تراه !.. المفترض أنه ينطلق أمامك مباشرة .

انعقد حاجبا (هانكس) فى شدة أكثر ، وبدت عليه العصبية ، وهو يغمغم :

ـ كيف لا يرونه ؟.. كيف ؟

وفجأة ، هتف أحد رجال الشرطة :

ـ شىء يتحرّك هناك .

وصاح الفنى :

ـ إنه هو .

ولم يكد رجال الشرطة يتلقّون هذه الصيحة ، عبر أجهزة الاتصال اللاسلكية ، حتى صوّبوا مدافعهم الآلية إلى الجسم المتحرّك ، وأمطروه برصاصاتهم ، على نحو أزعج المنطقة كلها ، وأثار موجة هائلة من الذعر والفزع ، فى حين انعقد حاجبا المفتش (هانكس) فى شدة ، وبدا له الأمر غريبًا إلى حد كبير ، حتى إنه تمتم فى عصبية :

ـ كيف لم يروه فى البداية ؟.. كيف ؟!

ولم يكد يتمّ عبارته ، حتى انبعث صوت أحد رجال الشرطة ، عبر أجهزة الاتصال ، وهو يهتف :

ـ اللعنة!.. إنها مجرّد لعبة أطفال . تدار بجهاز تحكّم عن بُعد (ريموت كنترول) .

هتف الفنى فى دهشة :

ـ لعبة أطفال ؟!.. كيف ؟

ازداد انعقاد حاجبى (هانكس) فى غضب عارم ، وهو يقول بصوت يوحى بأنه على وشك البكاء :

ـ عندما توقّف عند متجر لعب الأطفال .. لقد أطلقنا كالكلاب المسعورة خلف ثعلب زائف .. الرجل خدعنا جميعًا .

تناهى إلى مسامعه صوت شهقة مكتومة ، انطلقت من حلق الفنى ، فاستدار بمسدسه فى سرعة ، و ...

وانطلقت من حلقه شهقة أكثر قوة ..

لم تكن استدارته قد اكتملت بعد ، عندما أحاط ساعد قوى بعنقه ، وقبضت أصابع فولاذية على معصم يده الممسكة بالمسدس ، واخترق أذنه صوت صارم ، يقول :

ـ طريف منك أن انتبهت إلى هذا الأمر أيها المفتش .

ولوت الأصابع الفولاذية معصمه بقوة لا قبل له بها ، وأجبرته على إفلات مسدسه ، الذى سقط تحت قدميه ، و(أدهم) يتابع :

ـ ولكن بعد فوات الأوان .

اختنق (هانكس) بضغط الساعد القوى على عنقه ، وقال :

ـ أنت ؟!.. أنت هنا ؟!

أجابه (أدهم) بسخرية صارمة :

ـ كان من العسير علىّ أن أنصرف ، دون أن ألقى عليك التحية .

غص حلق (هانكس) بالحنق والمرارة ، واختنقت الكلمات فى حلقه ، وانهارت مشاعره كلها فى لحظات ، فلم يعد قادرًا على الكلام ، و(أدهم) يتابع :

ـ من العجيب أنك رجل ذكى ومخلص أيها المفتش ،

وعلى الرغم من هذا ، فأنت تهدر طاقتك كلها فى مطاردتى ، متجاهلاً قضيتك الأساسية !.. هل تتبعت قضية (أيدن) و(فريمان) ؟!.. هل حاولت أن تربط بينها وبين اختطاف السفير المصرى ؟!.. هل أديت عملك كما ينبغى ؟!

كادت الدموع تنهمر من عينى (هانكس) ، وكلمات (أدهم) تمزّقه كخنجر بارد ضخم ، ولم يجد بالفعل ما يقوله ، فى حين ارتفع صوت أحد رجال الشرطة ، عبر أجهزة الاتصال اللاسلكية ، وهو يقول :

ـ ماذا نفعل الآن أيها المفتش ؟!.. هل سنواصل المطاردة أم ماذا ؟!

عضّ (هانكس) شفتيه قهرًا ، و(أدهم) يقول ساخرًا :

ـ هيا .. أجب رجالك أيها المفتش الهمام ، فقد فقد الفتى وعيه ، ولم يعد بإمكانه الرد عليهم .. هل سيواصلون المطاردة ؟!

بذل (هانكس) جهدًا خرافيًا لدفع الكلمات عبر حلقه ، وهو يغمغم فى صوت متحشرج مختنق ، محنق :

ـ هل ستقتلنى على الفور ، أم أنك تهوى مواصلة لعبة القط والفأر هذه لفترة أطول ؟!

أجابه (أدهم) فى صرامة :

- ولماذا أقتلك يا رجل ؟!.. ألم تنجح فى استيعاب الأمر بعد ؟! لست خصمًا لك ، ولم أحاول إيذاءك قط .. أنت الذى يسعى خلفى فى عناد عجيب ، وانفعالاتك وعصبيتك تمنع عقلك من اتخاذ الخطوة الضرورية الحكيمة .

قال (هانكس) فى حنق مرير :

- أنا أؤدى واجبى .

أجابه (أدهم) فى سرعة :

- ليس كما ينبغى .

ارتفع فى تلك اللحظة صوت أحد رجال الشرطة ، وهو يقول فى قلق :

- لماذا لا تجيب أيها المفتش .. هل نواصل المطاردة أم لا ؟!

توتر (هانكس) أكثر وأكثر ، ولكن (أدهم) دفعه نحو جهاز الاتصال ، قائلًا :

- أجب رجالك أيها المفتش ، وفكّر جيدًا فيما قلته .

التقط (هانكس) جهاز الاتصال ، وهتف فى حدة :

- الهدف هنا أيها الأغبياء .. أسرعوا بالعودة .

قالها ، وانحنى يختطف مسدسه ، ويدور على عقبيه فى سرعة ، مصوبًا إياه نحو البقعة ، التى كان يقف

فيها (أدهم) ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وكادت أصابعه تعتصر مقبض المسدس فى غضب ..

فلم يعد هناك وجود للهدف ، فى تلك البقعة .

ولا فى أية بقعة أخرى .

لقد اختفى كما لو أنه قد تبخّر فى الهواء .

اختفى تمامًا ..

* * *

انعقد حاجبا (السنيورا) فى غضب ، وهى تهتف عبر سمّاعة الهاتف ، وقبضتها الثانية تدقّ سطح مكتبها فى قوة :

- لقد فشلتم للمرة الثانية يا (توماس) .. فشلتم .. كل ما أشعتموه حول خبرتكم ومهارتكم لم يكن سوى وهم .. وهم سخيف ، انكشف مع أول مواجهة لكم مع محترف .

قال (توماس كلارك) فى غضب شديد :

- إنه ليس محترفًا عاديًا يا سنيورا .. لقد خدعتنا .. ذلك الشيطان حطّم ستة من أفضل القتلة المحترفين ، فى (أمريكا) كلها .

صاحت (السنيورا) :

- لأنهم أغبياء .. أغبياء .. أغبياء .. لقد تعاملوا

معه كما لو كـان خصمًا عاديًا .. كلكم رفضتم تصديـق ما حذرتكم منه .. لقد أخبرتكم ألف مرة أنه ليس خصمًا عاديًا ، وطالبتكم منذ البداية بالتصدى له دفعة واحدة .

قال (توماس) فى مرارة عنيفة :

- كلمة خصم هذه لا تناسبه يا سنيورا .. إنه شيطان .. شيطان حقيقى .

صاحت به غاضبة :

- لا داعى للكلمات الأنيقة المثيرة يا رجل .. اعترف أنكم فشلتم فى القضاء عليه .. لن أدفع المبلغ المتفق عليه ، ما لم ....

قاطعها فى ثورة :

- فلتذهبى أنت ومبلغك إلى الجحيم .

صدمتها عبارته ، فهتفت مستنكرة :

- ماذا تقول ؟!

كرر ، وقد تضاعفت ثورته :

- اذهبى أنت وملايينك كلها إلى الجحيم .. الأمر لم يعد مجرد نقود يا سنيورا .. لقد أصبح ثأرًا شخصيًا .. لقد أقسمنا أنا و (بل هايدن) ، و (ألفريد جاكسون) ، و (وايت ويلى) على السعى خلفه للثأر لرفاقنا ، الذين لقوا مصرعهم بسببه .. سنجند كل طاقاتنا للعثور عليه ،

وسنسحقه سحقًا ، حتى ولو كلفنا هذا كل سنت ربحناه فى حياتنا كلها ..

لاذت بالصمت ، دون أن تعلق بحرف واحد ، وحاجباها ينعقدان فى شدة غاضبة ، فهتف فى عصبية :

- هل تسمعيننى يا سنيورا ؟!

أجابته فى صرامة مخيفة :

- أسمعك جيدًا يا (توماس) .

وعلى الرغم من حالة الغضب والثورة ، التى كان يمر بها ، وجد (توماس) قلبه يخفق فى عنف ، مع تلك العبارة الصارمة ، ثم انتقلت ارتجافة قلبه إلى جسده كله ، وهى تضيف فى صرامة أشد :

- وأرفض كل حرف نطقت به رفضًا باتًا .

أعادته الارتجافة إلى صوابه دفعة واحدة ، وطرحت كل مشاعره وانفعالاته جانبًا ، وهو يقول :

- (سنيورا) .. اعذرينى .. لم أكن أقصد أن ...

قاطعته فى غضب شديد الصرامة :

- فى شريعتى ، لا يوجد أنصاف حلول يا (توماس كلارك) .. إما أن يعمل المرء إلى جانبى ، أو أعتبره خصمًا لى .. أيهما تختار ؟.. العمل معى أم ضدى ؟

ارتبك زعيم اتحاد القتلة ، وهو يغمغم :

- معك بالطبع يا سنيورا .. معك .

صرخت فجأة :

- فلتذهب أنت إذن إلى الجحيم يا (توماس) ، على أن تنفذ ما تعاقدت عليه قبلها .. اقتل (أدهم صبرى) ، ولحساب (السنيورا) هل تفهم يا رجل ؟!

غمغم فى توتر شديد :

- أفهم يا سنيورا .. أفهم ..

قالت فى حدة شديدة :

- عظيم .. أنا أفضّل كثيرًا التعامل مع من يفهمون بسرعة ..

وأنهت المحادثة فى عنف شديد ، وهى تضيف فى مقت :

- حتى لو كانوا ألدّ أعدائى .

لم تكد تنطق عبارتها ، حتى اندفعت مساعدتها إلى حجرة المكتب ، هاتفة :

- سنيورا .. السفير المصرى وزوجته يعقدان مؤتمرًا صحفيًا ، يتمّ بثه على الهواء مباشرة .

ازداد انعقاد حاجبى السنيورا ، وهى تشير إلى جهاز (التلفزيون) فى حجرتها ، فأسرعت المساعدة بتشغيله ، وراحت السنيورا تتابع ما يقوله السفير المصرى ، أمام عدسات (التلفزيون) ، قبل أن تعضّ شفتيها فى غضب هادر ، وهى تقول :

- اللعنة !.. لقد أحسن (أدهم صبرى) لعبته هذه المرة كالمعتاد .. أحسن لعبته تمامًا .

هذا لأن ما يدلى به السفير المصرى كان مدهشًا وخطيرًا ..

خطيرًا إلى أقصى حد .

* * *

٧ - الشعرة فى العجين ..

ضرب رئيس المباحث الفيدرالية الأمريكية سطح مكتبه بقبضته فى حنق ، وهو يقول ساخطًا منفعلاً :

- فعلها ذلك الشيطان المصرى .. عبث بنا كلنا ، ووضعنا فى موقف لا يمكننا التملُّص منه .

انعقد حاجبا المفتش (هانكس) ، وهو يغمغم :

- يمكننا أن ننكر كل ما قاله السفير المصرى .

هتف رئيسه فىَ غيظ :

- ننكر كل ما قاله السفير ؟!.. أهذه هى الفكرة العبقرية ، التى تفتّق عنها ذهنك أيها المفتش .. أن ننكر كل ما قيل عنا للشعب الأمريكى كله ، وفى موقف كهذا ؟!..

وتراجع فى مقعده ، وزفر فى مرارة ، قبل أن يستطرد :

- لقد لعب ذلك الشيطان المصرى لعبته بمهارة ودهاء يثيران الغيظ ، هل تعلم ؟. كدت أصاب بالجنون ، عندما سمعت السفير المصرى يدلى ببيانه الرسمى ، ويتقدّم بالشكر للمباحث الفيدرالية الأمريكية ، والمخابرات

المركزية ؛ لتعاونهما فى خطة إنقاذه ، واستعادته من المختطفين ، ويخصَ بالشكر المفتش (دين هانكس) ، ورجل المخابرات (تيم بارتون) .. وفوجئت بصورتك أنت وذلك الشيطان تملأ الشاشة ، وبكل المحطات الإخبارية تتحدث فى انبهار عن شجاعة وذكاء وعبقرية أجهزة الأمن الأمريكية .

وعضَ شفتيه بأسنانه فى غيظ أكثر ، مضيفًا :

- لقد أصبحتما بطلين قوميين .. أنت وذلك الشيطان المصرى .. وعلى الرغم من كل ما حدث ، صدَق الجميع فى سذاجة تلك القصة ، واقتنعوا بأن كل المعارك التى حدثت ، كانت تدور بيننا وبين عملاء المختطفين ، وأن عملية وضع ذلك الشيطان فى السجن كانت مجرد خدعة ؛ ليتظاهر بالفرار ، ويلتقى بالمختطفين ، ويتعاون معنا على الإيقاع بهم .. كل شىء بدا مثاليًا ، مع نهاية رائعة ، لا ينقصها سوى اسم المخرج والمنتج ومدير التصوير ؛ لتصبح فيلمًا من أفلام (هوليود) الناجحة .

ازداد انعقاد حاجبى (هانكس) فى شدة ، وهو يقول فى عصبية :

- مازلت أصرَ على أنه بإمكاننا إنكار كل ما قيل .

هتف رئيسه فى حدة :

- ونعلن أن المصريين هم الذين استعادوا سفيرهم على أرضنا ؟!.. لا يا رجل .. لم يعد بإمكاننا هذا .. ذلك الشيطان نصب لنا فخًا لا فكاك منه .. لا يمكننا إعلان فشلنا للشعب كله .. لن يرحمنا أحد عندئذ .. حالة الإحباط والمرارة التى ستنتاب الجميع ، مع الصدمة المباغتة ، ستكون عنيفة وقاسية ، وسيبحث الكبار حتمًا عن كباش فداء ، للتضحية بهم على مذبح الشعب ..

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى عصبية :

- هل لك أن تستنتج معى من كباش الفداء ، الذين سيتمَ ذبحهم ، وسفك دمائهم ؛ لإطفاء غضب الشعب حينئذ ؟!

احتقن وجه (هانكس) فى شدة ، وهمهم بكلمات غير مفهومة ، وهو يشعر بحيرة تفوق حيرة رئيسه ألف مرة ..

كان يدرك جيدًا أن (أدهم) قد أحسن أداء اللعبة بمهارة مذهلة ، ووضع الجميع فى مأزق حرج ، لافكاك منه ..

ولكن لماذا وضعه فى الصورة إلى جواره ؟!..

لماذا حوّله معه إلى بطل قومى ؟!..

لماذا ؟!..

« إنها أكثر لعبة دهاء رأيتها فى حياتى كلها .. » ..

قطع رئيسه تسلسل أفكاره بهذه العبارة ، فرفع عينيه إليه فى صمت ، وسمعه يستطرد محنقًا :

- هل تتصوّر أن الرئيس نفسه اتصل بنا وهنأنا على فكرتنا العبقرية ؟.. واولئك الأوغاد فى المخابرات المركزية شكروه على تهنئته ، وأكّدوا له أن (تيم بارتون) من أفضل رجالهم .. هل تتوقّع منا بعدئذ أن ننكر كل ما قيل .

وزفر مرة أخرى فى غضب هادر ، وأخفى وجهه براحته ، قبل أن يستطرد :

- فلنعترف بالهزيمة يا رجل .. فلنعترف بها فى صمت وهدوء دون أن نثير التوتر فيما حولنا ، أو نستثير غضب الجماهير .. فلنعترف بالهزيمة ، ونحيطها بقالب زائف من النصر ، نتباهى به على الآخرين ، ونحن نشعر بالخزى فى أعماقنا ..

تفجرت موجة حانقة عنيفة فى أعماق (هانكس) ، قبل أن يندفع قائلاً فى حدة :

- ولكننا نستطيع تحقيق نصر فعلى يا سيّدى .

ابتسم رئيسه فى سخرية مريرة ، وهو يقول :

- وكيف أيها العبقرى .

أجابه فى حماس مباغت :

- مازال بإمكاننا تتبع قضية (إيدن) و(فريمان) .. هناك ما يشير إلى أنهما كانا يعملان لحساب جهة ما .

انعقد حاجبا رئيسه فى توتر ، وهو يقول :

- هل تعنى أنها قضية جاسوسية ؟!

أجابه (هانكس) :

- بالتأكيد ..واحدة من أخطر قضايا (التجسّس) التى واجهتها الأمة يا سيّدى ، ولدينا طرف خيط قوى ، يمكن ان يقودنا إليها مباشرة .

ضرب رئيسه سطح مكتبه بقبضته ، هاتفًا ، وقد انتقلت إليه موجة الحماس :

- وماذا تنتظر يا رجل ؟..

ومع ذلك الفيض المباغت من الحماس ، المغموس فى الرغبة العارمة فى تحقيق نصر حقيقى ، وقّع القدر عقدًا جديدًا ضد (السنيورا) ومنظمتها الرهيبة .. منظمة (الأفعى) ..

* * *

ارتفع حاجبا (جيهان) فى مزيج من التعاطف والحنان ، وهى تتطلع إلى (أدهم) ، الذى جلس صامتًا شاردًا ، على مقربة من النافذة الكبيرة ، فى المنزل الآمن



وقفت تتطلّع إليه قليلاً ، وهو يعود إلى شروده ، وعيناه تطلاّن فى صمت إلى (نيويورك) النائمة ..

الجديد ، فى الطابق العشرين من ناطحة سحاب ضخمة ..

وفى هدوء ، وعلى أطراف أصابعها ، تقدّمت نحوه ، ومالت على أذنه ، تهمس فى حنان جارف :

ـ لقد أعددت لك قدحا من القهوة .

انتزعه همسها من شروده ، فأدار عينيه إليها فى بطء ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة مرهقة ، وهو يغمغم :

ـ أشكرك .

وقفت تتطلّع إليه قليلاً ، وهو يعود إلى شروده ، وعيناه تطلان فى صمت إلى (نيويورك) النائمة ، الغارقة فى بحر من الأضواء المتلألئة ، ثم جذبت مقعدًا ، وجلست أمامه ، هامسة :

ـ القهوة تفقد مذاقها عندما تبرد .

التفت إليها مرة أخرى فى صمت ، والتقط قدح القهوة ، وارتشف منه رشفة صغيرة فى بطء ، قبل أن يعيده إلى موضعه ، فسألته فى حنان حزين :

ـ أمازلت تفكّر فيها ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال فى حزن واضح :

ـ إنها فى قبضة شيطانة لا ترحم ، والله (سبحان وتعالى) وحده يعلم كيف هى الآن .. أما زالت على قيد الحياة ، أم أن عنف محاولة الاختطاف قد قضى على ما تبقّى من حيويتها ، و ..

لم يستطع إتمام عبارته ، فازدرد لعابه ، وهو يقاوم مشاعره فى صعوبة ، حتى لا تفصح عن نفسها علانية ، فغمغمت (جيهان) ، والحزن يعتصر قلبها :

- (السنيورا) لن تفرط فيها بسهولة ..

كان يؤلمها ويمزقها أن تجلس إلى جواره ، وعقله كله مشغول بالتفكير فى أخرى ، فازت قبلها بقلبه ، واستحوذت عليه ، ولم تترك فيه مساحة لهمسة واحدة من أخرى ..

وياله من حب !..

يالها من عاطفة ، لم تتصور أبدًا أنه مازال لها وجود فى هذا العالم !..

وكم تحسدها ..

حتى فى غيبوبتها العميقة الطويلة ، مازالت تظفر بقلبه ..

وحبه ..

وحنانه ..

وحتى تفكيره كله ..

وفى خفوت واهتمام ، غمغم (أدهم) :

- هذا ما أعتمد عليه .. أن تتمسك (السنيورا) المجهولة هذه بها ، وأن تحافظ عليها ، حتى تستخدمها كسلاح ضدى وقت اللزوم ..

سألته فى حيرة :

- لماذا تستخدم لقب (السنيورا المجهولة) هذا ؟.. إنها أول مرة تشير إليها به !!.

مط شفتيه ، وهو يجيب :

- قلت لك : إننى استمعت إلى صوتها ، بعد أن أنقذنا السفير ، وهو ليس صوت (سونيا) أبدًا .

سألته فى اهتمام :

- أأنت واثق ؟!

ارتسمت على شفتيه ابتسامة حزينة ، وهو يجيب :

- لقد سمعت صوتها جيدًا يا (جيهان) ، ولا يمكننى أن أخطئ صوت (سونيا جراهام) قط .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى مرارة :

- ولا تنسَ أنها كانت زوجتى يومًا .

انقبض قلبها ، عندما ذكر هذا الأمر ، وبذلت جهدًا عنيفًا ، لتنتزع صوتها من حلقها ، وهى تتمتم فى حشرجة :

- ربما غيرت صوتها .

هز رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- كلا .. كانت تتحدث بانفعال ، ولم يكن هناك ما يدعوها لتغيير صوتها .. لقد افترضت أنها تلقى

أوامرها لرجالها ، ولا يوجد مـا يبرر محاولتها لتغيير صوتها عندئذ ، ثم إن ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه ، فسألته فى لهفة :

- ثم ماذا ؟!..

ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يجيب فـى شـىء مـن الشرود ، وكأنما يعتصر ذهنه اعتصارًا :

- ثم إن هذا الصوت مألوف لأذنى .. إننى لا أنسى صوتًا أو وجهًا قط .. لقد سمعت هذا الصوت من قبل .. سمعته حتمًا يومًا ما .. ولكن أين ؟.. ومتى ؟!

جذبت مقعدها ؛ لتقترب منه أكثر ، وهى تسأله فى انفعال :

- هل تشير إلى أنها شخص تعرفه ؟!

شرد بصره أكثر ، وهو يغمغم :

- بالتأكيد .

وصمت بضع لحظات ، وكأنما يعتصر ذهنه أكثر وأكثر ، ثم لم يلبث أن زفر فى مرارة ، وهزّ رأسه فى قوة ، قائلًا فى ضيق :

- لا يمكننى تذكره الآن .

ثم مط شفتيه ، مستطردًا :

- ولكـن (منـى) فى قبضتها على أية حال ، وأنا أجهل تمامًا أين هى .

قالت (جيهان) فى شىء من الحماس :

- ولكننا سنجد حتمًا وسيلة للوصول إليها .. أليس كذلك ؟

ظلّ صامتًا ، لا يجيب تساؤلها ، فسألته فى اهتمام :

- ألا تملك أية معلومات عنها ؟!

تنهد ، قبل أن يجيب :

- كل ما أعرفه هو أنها لا تقيم هنا فى (أمريكا) .

سألته فى دهشة :

- وكيف يمكنك الجزم بهذا ؟!

تثاقل جفناه ، من فرط تعبه وإرهاقه ، وهو يجيب :

عندما تلقيت محادثتها الهاتفية ، فى ذلك المخزن المهجور ، التقطت أذنى رنينًا خافتًا فى بدايتها ، يرتبط عادة بالمحادثات التى تأتى من خارج (أمريكا) .

سألته فى لهفة :

- من أين بالضبط ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يسبل جفنيه ، ويسترخى فى مقعده أكثر وأكثر ، مغمغمًا :

- لايمكن الجزم بهذا قط .. ربمـا كانت تتحدث من (أوربا) أو (أمريكا الجنوبية) ، أو (آسيا) .. أو حتى (استراليا) .

انعقد حاجباها فى تفكير عميق ، قبل أن تقول فى حماس :

– ولكننا سنجد حتمًا وسيلة للتوصُّل إليها .. أليس كذلك ؟!

كانت تتوقَّع منه ردًا سريعًا ، ولكن لم يجاوبها سوى الصمت المطبق ، فكرَّرت فى اهتمام مشوب بشىء من القلق :

– أليس كذلك يا (أدهم) ؟!

ولم تكد تنطقها ، حتى أدركت السبب فى أنه لم يجب تساؤلها ..

لقد أضناه التعب والجهد ، حتى غرق فى نوم عميق .. عميق للغاية ..

* * *

تثاءبت مساعدة (السنيورا) فى إرهاق شديد ، وألقت نظرة متهالكة ساخطة على ساعة يدها ، التى أشارت عقاربها إلى الثالثة صباحًا ، قبل أن تتطلَّع إلى رئيستها التى بدت شديدة السخط والتوتر ، وهى تنفث دخان سيجارتها ، وتقطع حجرة مكتبها الواسعة جيئة وذهابًا فى عصبية شديدة ، وتسألها فى حذر متردِّد :

– هل تفكرين فى وسيلة جديدة للانتقام من ذلك المصرى يا سنيورا ؟!

زفرت (السنيورا) فى توتر شديد ، ولوَّحت بذراعها كلها ، قبل أن تجيب فى حدة زائدة :

– الانتقام من (أدهم صبرى) هو الهدف الوحيد ، الذى أحيا من أجله ، ولكن ليس هذا ما يشغل تفكيرى فى هذه اللحظة .

سألتها فى حيرة :

– ما الذى يقلقك إلى هذا الحد إذن ؟

ازداد انعقاد حاجبى (السنيورا) ، ونفثت دخان سيجارتها مرة أخرى فى عصبية قبل أن تجيب :

– الذى يقلقنى هو أنه استطاع التوصُّل إلى موقع السفير وزوجته ، ونجح فى إطلاق سراحهما ، قبل أن أتخذ خطوتى التالية ، وهذا يعنى أنه قد تجاوز المسافة التى صنعتها بينى وبينه .. لقد أعددت خطتى كلها بافتراض أن أسبقه دومًا بخطوة أو أكثر ، وعلى الرغم من كل ما فعلته ، ومن عشرات العوائق ، التى وضعتها فى سبيله ، إلا أنه نجح فى تجاوز كل هذا ، وسبقنى هو بخطوة .

اعتدلت المساعدة ، وهى تقول :

– يمكننا تعديل الخطة ، واتخاذ مسار جديد ، فنسبقه مرة أخرى بخطوة ، وربما بعدة خطوات .

قالت (السنيورا) فى حنق :

- ربما لا يكون لدينا الوقت لنفعل .

سألتها المساعدة فى حيرة :

- ماذا تعنين ؟!

مطت شفتيها بضع لحظات ، وانعقد حاجباها فى شدة ، وكأنما تستعيد ذكريات قريبة وبعيدة ، قبل أن تجيب :

- لقد استمع إلى صوتى عبر الهاتف .

قالت المساعدة ، وقد اشتدت حيرتها :

- وماذا فى هذا ؟.. ألم تقولى : إنك التقيت به مرة واحدة ، فى حياتك كلها .

أجابتها (السنيورا) فى عصبية :

- هذا يكفيه ، فمثله لا ينسى صوتًا سمعه قط .

ثم انعقد حاجباها فى شدة أكثر ، وهى تستطرد :

- بالإضافة إلى أنه يعرف موعد الاتصال بالضبط .

صمتت المساعدة لحظات ، وهى تتطلع إليها ، وقد بلغت حيرتها ذروتها ، وأطل ألف سؤال من عينيها ، قبل أن تنتخب شفتاها أحدهم ، وتلقيه قائلة :

- وبم يمكن أن يفيده هذا ؟

أجابتها فى حدة :

- أيتها الغبية .. لو أنه يجيد التعامل مع أجهزة

الكمبيوتر ، وهذا مالا أشك فيه مطلقًا ، فسيمكنه بشىء من الجهد والبراعة أن يتوصل إلى رقم الهاتف ، الذى اتصلت به منه .

قالت المساعدة فى حذر :

- ولكننا نستخدم هاتفًا لاسلكيًا متنقلاً ، يحمل أرقامًا برازيلية سرية ، وتعقبه أمر عسير للغاية .

أجابتها (السنيورا) فى عصبية :

- ولكنه ليس مستحيلاً .

وأطفأت سيجارتها فى عنف ، وهى تستطرد مرتجفة ، من فرط الانفعال :

- وحتى لو كان كذلك (أدهم صبرى) قادر على التوصل إليه .. أنت لا تستطيعين تصور ما يمكن أن يفعله هذا الرجل .

انتقلت ارتجافتها إلى المساعدة ، وهى تغمغم :

- لا ريب فى أنه شخص خارق ، مادام استطاع أن يثير قلق (السنيورا) إلى هذا الحد .

قالت (السنيورا) فى لهجة أقرب إلى البكاء :

- إنه أخطر خصم يمكن أن يواجهه المرء ، فى الدنيا كلها .

ثم التفتت إلى هاتف اللاسلكى المتنقل ، مستطردة فى حدة:

- أريد أن يُسحق هذا الهاتف .
قالت المساعدة فى دهشة :
- يُسحق ؟.. ألا يكفى أن نتخلّص منه ؟
أجابتها فى حدة :
- نفذى أوامرى دون مناقشة .. هل تفهمين ؟
التقطت المساعدة الهاتف ، مغمغمة فى خوف :
- أفهمك يا سنيورا .. أفهمك بالطبع .
أشعلت (السنيورا) سيجارة أخرى ، قائلة فى توتر :
- أريد أن يتحطّم تماما .. لا تتركوا فيه سنتيمترًا واحدًا سليمًا ، وسأستخدم الهاتف السرى العادى ، منذ هذه اللحظة .. الهواتف اللاسلكية لم تعد مأمونة بعد الآن .
سألتها المساعدة فى حذر :
- هل يُشعرك هذا بالأمان ؟
أجابتها (السنيورا) فى عصبية :
- إنها خطوة نحو شاطئ الأمان .
ثم عاد حاجباها ينعقدان ، وهى تنفث دخان سيجارتها الجديدة ، مستطردة :
- ولكن الوصول إليه يحتاج إلى خطوة أخرى .
سألتها المساعدة ، فى قلق واهتمام :

- وما هى ؟!
أجابتها ، بعد شىء من التفكير :
- (توماس كلارك) .
خُيِّل للمساعدة أنها قد فهمت ما تعنيه زعيمتها ، فقالت :
- أعتقد أنه سيبذل مع رجاله جهدًا مضاعفًا هذه المرة ، ليظفر بـ (أدهم صبرى) هذا ، و ...
قاطعتها (السنيورا) ، قائلة :
- ليس هذا ما كنت أقصده .
تسلّل القلق إلى المساعدة ، وهى تسأل :
- ماذا كنت تقصدين إذن يا سنيورا ؟!
صمتت (السنيورا) لحظة ، ثم نفثت دخان سيجارتها فى عمق شديد هذه المرة ، قبل أن ترفع أحد حاجبيها ، قائلة :
- (توماس كلارك) هو الوحيد ، من غير رجالنا الأساسيين ، الذى يعرف موقع القصر .
استشعرت المساعدة ما تضمره زعيمتها ، فغمغمت فى حذر شديد :
- لقد جاء إلى هنا مرة واحدة ، و ..
قاطعتها (السنيورا) فى سرعة :
- إنها تكفى .
تراجعت المساعدة لحظة ، قبل أن تسأل متردّدة :

- ما الذى تفكرين فيه يا سنيورا ؟

صمتت (السنيورا) بضع لحظات ، قبل أن تهز كتفيها ، قائلة :

- (توماس) فشل فيما أوكلته إليه ، ولم يعد بإمكانى الاعتماد عليه أكثر من هذا .

اتسعت عينا المساعدة فى ارتياع ، وقد زايلها كل شك فيما تنتويه زعيمتها ، التى التقطت سماعة الهاتف السلكى السرى ، وطلبت رقم اتحاد القتلة ، ولم تكد تسمع صوت محدثها ، حتى قالت فى حزم :

- (بل هايدن) كيف حالك ؟.. كنت أعلم أننى سأجدك فى انتظارى ، طبقا لما اتفقنا عليه .. قل لى يا رجل : أأنت مستعد لتنفيذ خطة الطوارئ ، التى اتفقنا عليها من قبل ؟

وصمتت بضع لحظات ، لتستمع إليه ، قبل أن تقول :

- بالطبع يا (هايدن) .. ستحصل على المبلغ المتفق عليه بالتمام والكمال ، ولكننى أريد تنفيذ المتفق عليه فى أسرع وقت ممكن .. هل تفهم ؟.. فى أسرع وقت ممكن .

وعندما أنهت الاتصال ، كانت عيناها تتألقان فى شدة وظفر ، وهى واثقة من أنها قد سدت الثغرات التى يمكن أن تقود (أدهم) إليها ..

كل الثغرات .

* * *

٨ - طرف الخيط ..

لم تكن عقارب الساعة قد تجاوزت السابعة صباحا بعد ، عندما غادرت (جيهان) حجرتها ، فى ذلك المنزل الآمن ، المطل على (نيويورك) ، وهى فى أبهى زينتها ، واتجهت لتعد طعام الإفطار ؛ استعدادا لإيقاظ (أدهم) ، و ...

ولم تكد تعبر الردهة ، حتى ارتفع حاجباها فى دهشة بالغة.

لقد رأت (أدهم) أمامها ، فى كامل ثيابه ونشاطه ولياقته ، جالسا أمام جهاز كمبيوتر صغير ، يتعامل مع أزراره فى سرعة واهتمام كاملين ، ولم يكد يلمحها بدوره ، حتى منحها ابتسامة سريعة ، قائلا :

- صباح الخير أيتها النقيب .

ثم عاد إلى عمله ، فسألته فى دهشة :

- متى استيقظت ؟

أجابها ، دون أن يلتفت إليها :

- فى الخامسة والنصف كالمعتاد .

ظلت تتطلع إليه فى دهشة ، ثم انفجرت ضاحكة ، وهى تقول :

- وأنا التى أتصوَّر نفسى مبكرة أكثر مما ينبغى !

واتجهت نحوه ، مستطردة :

- ما الذى تفعله ؟!

أجابها فى اهتمام :

- أتعقَّب المحادثة الهاتفية ، التى دارت بينى وبين السنيورا أمس .

جلست إلى جواره ، تسأله :

- وكيف هذا ؟!

أشار إلى الشاشة ، قائلاً :

- لقد حصلت أوَّلاً على رقم هاتف ذلك المخزن القديم ، وبعدها استخرجت قائمة بكل المحادثات التى قام بها ، والتى تلقَّاها ، فى الساعات العشرين الأخيرة ، ونظرًا لأننا نعرف موعد الاتصال بدقة ، فقد توصَّلت إلى رقم الهاتف ، الذى تحدَّثت منه (السنيورا) .

هتفت فى حماس :

- حقًّا ؟!

مطَّ شفتيه فى ضيق ، وهو يشير إلى الشاشة ، مجيبًا :

- حقًّا للأسف .

قالت فى دهشة :

- ولماذا الأسف ؟!

هزَّ رأسه فى ضيق ، مجيبًا :

- تلك الأفعى تتحرك ببراعة حقيقية هذه المرة .. إنها تستخدم هاتفًا لاسلكيًا محمولاً ، يمكن استخدامه من أى مكان ، وهو يحمل أرقامًا برازيلية ، مما يعنى أننا نستطيع استبعاد (البرازيل) من القائمة بكل ثقة .

ابتسمت (جيهان) فى سخرية ، قائلة :

- عظيم .. سيقتصر بحثنا إذن على باقى دول العالم فحسب .

التقى حاجباه فى شدة ، فتلاشت ابتسامتها الساخرة ، وهى تقول فى قلق :

- هل ضايقك التعليق ؟

التفت إليها ، قائلاً :

- كلا .. ولكننى أفكر فى طرف خيط آخر .

سألته فى اهتمام :

- وما هو ؟

أجابها بسرعة :

- بل قولى من هو ؟

ارتفع حاجباها فى دهشة ، وهى تردِّد :

- من هو ؟!.

أشار بيده ، قائلا :

ـ بالطبع .. إننا نعلم جيدًا أن اتحاد القتلة كان ومازال يسعى لقتلى ، وأنه هناك صلة ما تربطه بالسنيورا ، بدليل ما نطقه ذلك الزنجى ، قبل أن يحاول حرقى حيًا ، فى تلك الزنزانة الصغيرة ، فى السجن المركزى ، ومحاولة أولئك القتلة المحترفين التخلّص منى بعدها مرتين .. ونعلم أيضًا أن رئيس اتحاد القتلة هذا هو ذلك القاتل المحترف (توماس كلارك) ، الذى جمع رجالنا كل المعلومات الممكنة عنه .

قالت متابعة فى اهتمام :

ـ هذا صحيح .

أكمل هو بشىء من الحماس :

ـ (توماس كلارك) هذا سيعرف شيئًا عن (السنيورا) حتمًا ، فرجل كهذا لن يتعاقد مع امرأة دون أن يراها ، أو يلتقى بها ولو لمرة واحدة ، ومن المؤكد أننا سنجد لديه بعض المعلومات عنها ، وربما قادنا هذا إلى شىء ما .

أومأت برأسها متفهّمة ، وقالت :

ـ هذا منطقى تمامًا ، ولكن المعلومات التى جمعها رجالنا عن (توماس) هذا ، لاتتضمّن عنوانه ، أو عنوان اتحاد القتلة ، وهذا يعنى أننا لن نستطيع

التوصّل إليه بسهولة .

هزّ كتفيه ، قائلا :

ـ فلنجعله هو يتوصّل إلينا إذن .

قالها فى هدوء ولا مبالاة عجيبين ، فتطلّعت إليه فى حيرة ، ورأت نظرة عجيبة تطلّ من عينيه ..

نظرة تجمع ما بين الحزم ، والثقة ، والصرامة ، و ... والغموض ..

كل الغموض ..

* * *

تنحنح مفتش الشرطة المكسيكى (بابلو) ، وهو يقف عند باب حجرة رئيسه ، وعدّل رباط عنقه الباهت ، ومعطفه القديم الرث ، قبل أن يدق الباب ، ثم يقف فى احترام ..

ومضت لحظات من الصمت التام ، قبل أن يسمع صوت رئيسه ، وهو يقول فى خشونة :

ـ ادخل يا رجل .

دلف (بابلو) إلى الحجرة ، وهو يحك حذاءه فى سرواله ، ويقول بابتسامة مرسومة :

ـ صباح الخير يا سيّدى .. المفتش (بابلو) فى خدمتك ..

لم يبد له أن الأمر يحمل أى خير محتمل ، مع

انعقاد حاجبى رئيسه ، وتلك النظرة الغاضبة المطلة من عينيه ، وهو يقول :

- لقد انتهيت على الفور من قراءة تقريريك الخاص بحادث المصورة الأمريكية يا (بابلو) .

تنحنح (بابلو) مرة أخرى ، قبل أن يقول فى خفوت :

- لقد وضعت كل ما لدى من معلومات فى هذا التقرير ، و ..

قاطعه رئيسه فى غضب ، وهو يدقّ سطح مكتبه بقبضته :

- إنه أسخف تقرير قرأته فى حياتى كلها أيها المفتش . كيف تورد تلك الاتهامات السخيفة لذلك المصوّر المأفون .

ارتفع حاجبا (بابلو) فى دهشة ، وهو يقول :

- ولكنها لم تكن مجرّد اتهامات جوفاء يا سيّدى .. لقد رافقته بنفسى ، فى رحلة البحث عن آلة التصوير الرئيسية ، و ...

قذف رئيسه التقرير فى وجهه ، هاتفًا فى حدّة :

- لا أريد سماع حرف واحد من هذه السخافات .. إنه مصوّر مخبول ، يتصوّر أنه أكثر ذكاءً منا ، لمجرد أنه أمريكى .. هيا .. مزّق هذه التفاهات ، وأعطنى تقريرًا جديدًا، لا يتضمّن سوى ما حوته الأوراق الرسمية فحسب.



فتطلّعت إليه فى حيرة ، ورأت نظرة عجيبة تطلّ من عينيه ..

انعقد حاجبا (بابلو) فى ضيق ، وهو يقول :

- وماذا عن ذلك الفيلم ؟

أجابه رئيسه فى صرامة :

- لا وجود لأية أفلام . إنها مجرد شائعة .

أشار (بابلو) إلى صدره ، وهو يقول فى حدة :

- هكذا ؟!.. المشكلة أننى رأيت هذه الشائعة تحترق أمام عينىّ أمس .

صاح به رئيسه فى غضب :

- وهذا يعنى أنه لم يعد لها وجود .. هل ستذكر فى تقريرك شيئًا لا وجود له ؟!.. كيف ستواجه المحققين به إذن ؟!

صمت (بابلو) فى ضيق ، وقد ازداد انعقاد حاجبيه ، فلوّح رئيسه بسبّابته فى وجهه ، قائلا :

- اسمع يا (بابلو) .. أنت رجل شرطة مجتهد ، وتقاريرك كلها ممتازة ، وينتظرك مستقبل باهر .

ثم انعقد حاجباه بدوره ، وهو يستطرد فى صرامة :

- بشرط أن تطيع رؤساءك ، الذين تعمل لخدمتهم .

غمغم (بابلو) فى ضيق :

- كنت أظننا نعمل جميعًا من أجل الحق والعدالة .

قال رئيسه فى حدة :

- هذا صحيح .. كلنا نعمل من أجل الحق والعدالة ، وليس من أجل بعض الشائعات السخيفة المغرضة ، التى يسعى البعض لإثارة البلبلة بوساطتها .. من أدراك أن ذلك المصوّر الأمريكى لم يضع آلة التصوير تلك هناك مسبقًا ؟!.. من أدراك أنه لا يسعى لاكتساب بعض الشهرة ، أو لدخول عالم الأضواء ، مستغلاً مصرع زوجته ؟!

أشاح (بابلو) برأسه فى ضيق ، وهو يقول :

- ولكن الفيلم ، الذى عثرنا عليه فى الصحراء الصخرية ، يـ ...

قاطعه فى صرامة ، وهو يعود لضرب سطح مكتبه بقبضته :

- لا وجود لأية أفلام .. هل تفهم ؟!.. ذلك الفيلم ليس له وجود على الإطلاق .

احتقن وجه (بابلو) الأسمر ، وارتجفت شفتاه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فتراجع رئيسه فى مقعده ، وأضاف فى صرامة أكثر :

- هيا .. عد إلى مكتبك ، واكتب تقريرًا جديدًا .. هيا .

تمتم (بابلو) بصوت متحشرج مختنق :

- كما تأمر يا سيدى .. كما تأمر .

تابعه رئيسه ببصره ، وهو يغادر الحجرة ، حتى أغلق بابها خلفه ، ثم التقط سماعة هاتفه ، وطلب رقمًا خاصًا ، ولم يكد يسمع صوت محدثته ، حتى قال فى احترام شديد :

- صباح الخير يا سنيورا .. كل شىء على ما يرام .. الفيلم الذى عثر عليه ذلك المصوّر الأمريكى احترق ، و(بابلو) سيضع تقريرًا يناسب ما نسعى إليه بالضبط .

قالت (السنيورا) فى صرامة :

- هل أحرقت ذلك الفيلم بنفسك ؟

ارتبك رئيس الشرطة ، وهو يجيب :

- المصوّر (جان زوكرمان) أحرقه بنفسه ، أمام عينى (بابلو) .

كاد صوتها يخترق أذنه ، وهى تصرخ فى غضب :

- أحرقه بنفسه ؟!

ثم استطردت فى ثورة :

ماذا دهاكم يا رجل ؟!.. أأنتم رجال شرطة محترفون ، أم مجرّد هواة حمقى ؟!.. كيف تركتموه يحرقه بنفسه ؟!. ماذا لو أنه خدعكم ، وقام بحرق فيلم آخر ؟!.. كيف يمكنكم التأكّد من هذا ؟!

ارتبك رئيس الشرطة أكثر وأكثر ، وهو يتمتم :

- لا ريب فى أن (بابلو) قد تأكّد بنفسه ، و ...

قاطعته مرة ثانية ، فى ثورة أكثر :

- فليذهب (بابلو) هذا إلى الجحيم .. فلتذهبوا جميعًا إلى الجحيم .. إنك تتقاضى منى ثروة شهريًا ؛ لتحمينى من كل ما يمكن أن يهدّدنى بالخطر ، ولتنفذ كل ما آمر به .

انخفض صوته فى توتر شديد ، وهو يقول :

- أنا رهن إشارتك يا سنيورا .. سأنفذ كل ما تأمرين به على الفور .

توقفت ثورتها ، واكتسى صوتها بصرامة مخيفة ، وهى تقول :

- لا يوجد سوى حل واحد لهذه المشكلة يا رجل .. حل واحد لا بديل له .

وسرت فى جسد الرجل قشعريرة باردة ، وهى تضيف بصرامة أشدّ :

- أن يتمّ قتل ذلك المصوّر ، وحرق معمله بكامله .. وبأقصى سرعة ممكنة .. هل تفهم ؟! بأقصى سرعة ممكنة .

قالتها ، وأنهت المحادثة فى عنف ، جعل جسد رئيس الشرطة المكسيكى يرتجف أكثر .. وأكثر ..

* * *

« (هانكس) .. استيقظ يا رجل .. استيقظ .. » ..

انتفض جسد المفتش (دين هانكس) فى قوة ، وهو يفتح عينيه ، ويتطلع فى دهشة إلى زميله ، الذى ابتسم مشفقا ، وقال فى تعاطف :

- هل أفزعتك ؟

انطلقت من أعمق أعماق (هانكس) زفرة حارة ملتهبة ، وهو يعتدل فى مقعده ، مغمغما :

- لا بأس .. لقد أخرجتنى من كابوس ثقيل .

جلس زميله على المقعد المقابل له ، وهو يسأله :

- أى كابوس هذا ؟

صمت (هانكس) لحظة ، ثم هز كتفيه ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ضيق ، وقال :

- رأيتهم يجردوننى من رتبتى ، وينتزعون شارتى ، ثم يتلقون أمرا بإلقاء القبض علىّ ، بتهمة الخيانة العظمى ، وتسليمى لإدارة المخابرات المركزية .

ابتسم زميله مشفقا ، وهو يتمتم :

- يا له من كابوس ..

هز (هانكس) رأسه ، مغمغما :

- إنه لم ينته على هذا النحو .

سأله زميله :

كيف انتهى إذن ؟

مط (هانكس) شفتيه ، وتنهد لحظة ، قبل أن يجيب :

- رأيتهم يحملوننى عنوة إلى إدارة المخابرات ، وعندما ألقونى فى زنزانة ضيقة خانقة تحت الأرض ، حضر مدير المخابرات لرؤيتى .. هل تدرى من كان هذا المدير ؟

هز زميله رأسه نفيا ، والشغف يطل واضحا من عينيه ، فتراجع (هانكس) فى مقعده ، ولوح بكفيه ، قائلا :

- (تيم بارتون) .. أو (أدهم صبرى) نفسه .

حدق زميله فى وجهه لحظة بدهشة ، ثم لم يلبث أن انفجر ضاحكا ، وهو يقول :

- يا إلهى .. لقد تحول ذلك الرجل إلى عقدة كبيرة فى حياتك .

هز (هانكس) كتفيه ، وغمغم :

- ألا يستحق هذا ؟!

ثم عاد يعتدل فى مقعده ، ويسأل زميله فى اهتمام :

- ولكن قل لى : لماذا أيقظتنى ؟

مد زميله يده إليه بعدد من الأوراق ، وهو يقول :

- لقد أعددنا التقرير الخاص بذلك الرجل (بيرت) ..

(آلان بيرت) .. مسئول الأمن فى سجن (نيويورك) المركزى .. أراهن على أنه سيثير اهتمامك بشدة .

سأله (هانكس) ، وهو يلتقط التقرير فى لهفة :

- هل عثرتم فيه على جديد ؟

هتف الرجل :

- جديد ؟!.. إنه قنبلة يا رجل .. لقد كشفنا أن (بيرت) هذا وغد حقيقى .. لقد ارتكب من الآثام ما جعلنا نتساءل فى دهشة عن السبب ، الذى دفعهم لتعيينه فى هذا المنصب الحسّاس .. انظر إلى عدد مخالفات المرور ، وقائمة الاتهامات التى وجِّهت إليه .. بل ونوعية الاتهامات نفسها .. مشاجرات .. شروع فى قتل ، وحتى التحرشات الجنسية ومحاولتين للاغتصاب .. صحيح أنه لم تثبت ضده تهمة واحدة ، ولكن الشبهات المحيطة به كانت تكفى لمنعه من العمل فى هذا المجال لنصف قرن على الأقل !

انعقد حاجبا (هانكس) ، وهو يراجع التقرير فى دهشة بالغة ، قبل أن يرفع عينيه إلى زميله ، قائلاً :

- من المؤكد أن شخصًا ذا أهمية بالغة قد توسّط له ؛ ليحصل على هذه الوظيفة .

ثم استنشق دفقة كبيرة من الهواء النقى ؛ ليملأ بها

رئتيه ، ثم أضاف فى مزيج من الحماس والاستمتاع :

- يبدو أن (أدهم صبرى) هذا كان على حق .. القضية أكبر مما نتصوَّر ، وتحتاج منا إلى شحذ كل قوانا ، وتوجيه كل اهتمامنا .

وتراجع فى مقعده ، وشبَّك أصابع كفيه أمام وجهه ، مستطردًا :

- لقد وقعنا على صيد ثمين يا رجل .. صيد ثمين بحق .

نطقها ، وقد اكتسى صوته بفيض من الحماس .. ومن الحزم ..

* * *

لم تكن عقارب الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة صباحًا بعد ، عندما انهمك صاحب تلك الحانة الأنيقة ، فى الشارع الخامس فى تنظيف الأكواب ، وتنظيم المكان ، بمعاونة عدد من العاملين ، وهو يقول فى ضجر :

- يالها من مهنة !.. نعمل نحن بجد وكد طوال النهار ، حتى يأتى الآخرون للترويح عن أنفسهم فى المساء ، وإفساد كل ما فعلناه .

ابتسم أحد مساعديه ، وهو يقول :

- ولكنها مهنة مريحة على أية حال .

لوَّح الرجل بذراعيه ، هاتفا :

ـ لم أنكر هذا . إننا نحتملها جميعًا لهذا السبب .. أليس كذلك ؟

ثم دار بعينيه فى وجوه الجميع ، مكررًا :

ـ أليس كذلك يا رجال ؟

همهموا جميعًا بكلمات غير مفهومة ، ووجوههم تحمل ابتسامات خبيثة ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وهتف :

ـ أظنها مربحة للجميع ، وليس لى وحدى .

كان الجميع يتحاشون الدخول فى تلك المناقشة اليومية المرهقة ، مما جعلهم يغمغمون :

ـ بالطبع .. بالطبع .

ومع آخر حروف غمغمتهم ، دلف ذلك الرجل إلى المكان ..

كان أشعث الشعر ، زائغ العينين ، رث الهيئة ، يمسك بيده زجاجة خمر فارغة ، ويهتف بجلبة مزعجة :

ـ صباح الخير أيها السادة .. كم يسعدنى أن فتحتم أبوابكم .. لقد نفدت الخمر منى منذ عدة ساعات ، وأشعر بظمأ شديد .

تبادل الرجال نظرة امتعاض ، فى حين اتجه صاحب الحانة إليه ، وقال فى لهجة تحمل شيئًا من الصرامة :

ـ الحانة لم تفتح أبوابها بعد .. إننا ..

قاطعه الرجل فى غضب :

ـ لم تفتح أبوابها ؟!.. وكيف هذا ؟!.. لقد استطعت الدخول إلى المكان .. أليس كذلك ؟

تزايدت نبرة الصرامة فى صوت صاحب الحانة ، وهو يقول :

ـ اسمع يا رجل .. لسنا فى وضع يسمح لنا بمناقشة هذه السخافات .

هتف الرجل :

ـ ولا أنا .. لست أميل إلى الأحاديث والسخافات مطلقًا .. كل ما أنشده هو كأس من الخمر ، لإطفاء تلك النيران المستعرة فى جوفى .

تآزر عمال الحانة مع رئيسهم ، وقال أحدهم فى خشونة :

ـ اطفئ نيرانك فى مكان آخر يا رجل .. هذا المكان يخصّ الطبقة الراقية وحدها ، ومن غير المسموح أن ..

قاطعه الرجل فى حدة :

ـ يخصّ الطبقة الراقية ؟!.. وإلى أية طبقة تظننى أنتمى يا رجل ؟!.. إلى الطبقة الوضيعة ؟!.. لا .. لقد أخطأت بالتأكيد .. أنا رجل ثرى .. ثرى للغاية .

قالها ، وهو يخرج من جيبه رزمة من النقود ، من فئة المائة دولار ، وانتزع منها عدة ورقات ، ألقاها إلى صاحب الحانة فى لا مبالاة ، هاتفا :

- هل ترون ؟.. هيا .. أعطونى كأسا من الخمر .

برقت عيونهم مع رؤية كل تلك النقود ، والتقط صاحب الحانة تلك الورقات فى لهفة ، وهو يقول :

- بالتأكيد .. بالتأكيد .. أحضروا كأسا من الخمر لهذا السيد المهذب ..

قهقه الرجل على نحو مبتذل ، وهو يهتف :

- هكذا تكون المعاملة .. أحضروا للسيد المهذب ـ الذى هو أنا ـ كأسا من الخمر .. وبسرعة .

قاده صاحب الحانة إلى البار ، وهو يسأله فى اهتمام :

- قل لى يا رجل : هل ربحت يانصيب الولاية أم ماذا ؟

هز الرجل رأسه نفيا ، وابتسم ابتسامة واسعة ، وهو يجيب :

- أنا لم أشترك فى أى يانصيب طيلة عمرى ، فقد كنت أظن أننى شخص خاصمه الحظ ولازمه النحس منذ مولده ، ولكننى وقعت فى الفجر على سر عظيم ، أستحق أن يمنحنى أحد السادة كل هذه النقود ، فى سبيل معرفته .

أحضر أحد الرجال كأس الخمر ، فى هذه اللحظة ، فاختطفه الرجل فى لهفة ، وصاحب الحانة يسأله فى اهتمام :

- سر عظيم ؟!.. أى سر هذا ؟!

ترنح الرجل لحظة ، وهو يلوح بسبابته ، قبل أن يميل على أذن صاحب الحانة هامسا :

- لقد رأيت رجل المخابرات .

سأله صاحب الحانة مبهوتا :

- أى رجل مخابرات ؟!

أشار الرجل بسبابته ثانية ، وهو يقول :

- ذلك الذى تحدثوا عنه فى (التلفزيون) .. ألا تعرفه ؟!.. ذلك الذى أنقذ السفير المصرى .. (توم بارلون) ، أو (توماس رولون) .. لست أدرى !

سأله صاحب الحانة فى لهفة شديدة :

- أتقصد (توم بارتون) .

هتف الرجل فى حماس السكيرين :

- بالضبط .. هو ذاك .. يالك من عبقرى !.. لقد تعرفته على الفور .

انعقد حاجبا صاحب الحانة فى اهتمام شديد ، وهو يسأله :

- وأين رأيت رجل المخابرات هذا يا رجل ؟

أمسك الرجل الكأس بيمناه ، ولوّح بيسراه ، قائلاً :

- هناك فى (نيو جيرسى)(*) .. على الضفة الأخرى للنهر .

سأله صاحب الحانة فى حذر :

- فى أى مكان من (نيو جيرسى) ؟!

تجشأ الرجل ، قبل أن يجيب :

- فى (نيوآرك) .. فى تلك المنطقة المجاورة للاستاد الأوليمبى .. لقد لمحته هناك ، وألقيت عليه التحية ، ولكنه لم يجب ، بل انصرف مسرعًا ، ودخل مبنى ضخمًا ، فانصرفت حزينًا لتجاهله لى ، وعندما التقيت بذلك الصحفى ، أخبرته بالأمر ، فمنحنى كل هذا المال ..

قالها وحمل كأسه ، واتجه به نحو الباب ، مضيفًا فى لهجة متخبّطة :

(*) نيو جيرسى : ولاية أمريكية فى شرق الولايات المتحدة ، عاصمتها (ترنتون) ، وأهم مدنها (نيوآرك) ، بها صناعات الكيماويات ، والأطعمة ، والمنسوجات ، والآلات ، والمطاط ، والجلود ، والبلاستيك ، وبناء السفن ، والطباعة ، ومعامل التكرير ، ومنتجات الألبان .

- هذا كل ما حدث .. اسمحوا لى بالانصراف أيها السادة .. سأعود للبحث عن ذلك البطل .. ربما منحنى بدوره بعض المال .. إلى اللقاء .

حاول صاحب الحانة أن يستوقفه ، هاتفًا :

- ألن تصف لى المكان بوضوح أكثر ؟

هزّ كتفيه ، وهو ينصرف ، قائلاً :

- المبنى الكبير يا رجل .. المبنى الكبير .

انعقد حاجبا صاحب الحانة ثانية ، وهو يتابعه ببصره ، حتى انصرف تمامًا ، فاتجه إليه أحد رجاله ، قائلاً فى حماس :

- هل يهمك الأمر يا سيّدى ؟.. هل أخرج لتتبعه ؟

هزّ صاحب الحانة رأسه نفيًا ، وغمغم :

- لا داعى لهذا .. أشكّ حتى فى أنه يستطيع العودة إلى هناك بهذه الحالة .

قالها ، دون أن يدرى أن الرجل لم يرتشف رشفة واحدة من كأس الخمر ، الذى وصل متلهفًا إليها ، وإنما سار مترنحًا حتى أوّل ناصية ، ولم يكد ينحرف إلى الشارع الجانبى ، ويتأكّد من أن أحدًا لا يتبعه ، حتى اعتدل فجأة ، واكتسب نشاطًا مدهشًا ، وألقى الكأس أرضًا ، ثم سار فى خطوات سريعة حاسمة ،

عبر الشارع الجانبى ، حتى بلغ سيارة رياضية أنيقة ، تنتظره فى الشارع الموازى لذلك الذى تطلّ عليه الحانة ، فقفز داخلها فى خفة ، وسألته الحسناء الفاتنة ، التى تجلس خلف عجلة قيادتها :

- كيف سار الأمر ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يجيب :

- لو أن هذه الحانة هى المكان المفضّل لـ (توماس كلارك) بالفعل ، فأراهنك على أن صاحبها يجرى الاتصال الهاتفى الذى ننشده الآن .

أطلقت (جيهان) ضحكة مرحة ، وهى تنطلق بالسيارة ، دون أن يدرك أحدهما أن صاحب الحانة لم يجر اتصالاً هاتفيًا واحدًا ..

لقد أجرى اتصالين هاتفيين متعاقبين ..

أحدهما مع (توماس كلارك) ، أما الثانى فقد كان أكثر أهمية ..

وأكثر خطورة ..

أكثر بكثير ..

* * *

٩ - أرض المعركـــة ..

ساد هدوء عجيب أرض التدريبات الخاصـة ، فى مركز التدريب المشترك ، لهيئة الأمن القومى الأمريكية ، حتى بدا وكأن الزمن قد توقّف لهذه اللحظات ، فتحوّل كل شىء إلى صورة جامدة ثابتة ، لا تجرؤ الرياح نفسها على إقحام نفسها فيها ..

ثم ظهر ذلك الجسم المتحرّك ..

شخص آلىّ صغير ، يستخدمه رجال الجيش ، للبحث عن الألغام المدفونة ، وشقّ الطرق الآمنة وسط الحقول المزروعة بها ..

ومع ظهوره ، ارتفع صوت محرّكه الرتيب ، وهو يشقّ طريقه عبر أرض التدريبات ..

وبعدها ظهر ثان ..

وثالث ..

ورابع ..

ولم تمض دقائق محدودة ، حتى كان الأشخاص الآليون الأربعة يقطعون المكان ، فى نسق أنيق ، وعلى نحو يشفّ عن حسن الأداء والنظام والدقة ،

فى حين احتلّت أحد الأركان عربة رادار صغيرة ، وبرز حولها خمسة من الجنود ، يحمل كل منهم مدفعه الآلى ، وكأنهم مسئولون عن حراسة تلك الأشخاص الآلية ، و ...

وفجأة ، انطلق صاروخ صغير ..

انطلق بغتة ، يشق الهواء ، ويتجه نحو أحد الأشخاص الآلية الأربعة مباشرة ، ثم يرتطم به ..

ويدوى الانفجار ..

وتوتر الموقف كله فى لحظة واحدة ..

الجنود الخمسة رفعوا مدافعهم فى تحفز ، والأشخاص الآليون الثلاثة المتبقون بدءوا التحرّك فى طريق العودة ، فى حين تضاعفت سرعة دوران الرادار ، وبرز من جوانب العربة شريط معدنى ، يحمل أكثر من ستة صواريخ محدودة .

وانطلق صاروخ ثان ، لينسف شخصًا آليًا جديدًا ، فى نفس اللحظة التى برز فيها الخصم ، الذى سبّب كل هذه الفوضى ..

وتحفّز الجنود الخمسة ، وهم يتطلّعون إليه ، فى زيه العجيب ، وخوذته الكبيرة ، والجهاز الذى يحمله خلف ظهره ..

كان أشبه برائد فضاء من كوكب آخر ، انتخب الأرض ميدانًا لمعركته ؛ ليثبت للبشر عجزهم عن التصدّى له ..

ولكن الجنود الخمسة لم يتردّدوا ..

ولم يرتبكوا ..

لقد بدوا وكأنهم كانوا يتوقعون ظهور ذلك الشىء بالتحديد ، فقد صوّبوا فوهات مدافعهم الآلية إليه فى سرعة ..

وانطلقت رصاصاتهم فى سخاء ..

وعلى الرغم من أن الرجال الخمسة من أفضل الرماة فى وحدات الجيش الأمريكى كلها ، ومن أنهم أصابوا هدفهم بمنتهى الدقة ، ودون أن يفقدوا رصاصة واحدة ، إلا أن الهدف لم يسقط ..

بل ، ولم يتزحزح من مكانه قيد أنملة ..

لقد أصابته الرصاصات كلها ، فى صدر زيه العجيب ، وفى خوذته الكبيرة ، ثم ارتدّت عنه فى عنف ، دون أن تترك خلفها سوى خدوش قليلة محدودة ..

وحان دوره للرد ..

ومن قفازيه الضخمين السميكين ، انطلق وابل من الرصاصات ، نحو الرجال الخمسة ، وراح يحصدهم فى سرعة وعنف ، وبلا رحمة ..

وسقط ثلاثة منهم ، مع الهجوم المباغت الأول ، فى حين أسرع الاثنان الآخران بالاختباء خلف عربة الرادار ، التى استعدت صواريخها للانطلاق نحو ذلك الخصم ، بعد أن حددت موقعه بمنتهى الدقة ..

ولكن فجأة ، اشتعل ذلك الجهاز ، الذى يحمله الخصم خلف ظهره ، وارتفع به عن الأرض ، وبدا وكأنه يطير ، وهو يطلق صاروخا ثالثا نحو عربة الرادار ، التى أطلقت عليه صاروخين بدورها ..

وكان صاروخه هو الأسبق ..

لقد أصاب عربة الرادار ، وانفجر عندها فى عنف ، فى نفس الوقت الذى انقض فيه عليه الصاروخان اللذان أطلقتهما نحوه ..

وانخفض ذلك الغريب فى سرعة ، محاولا تفادى الصاروخين ، ولكنهما ما لا نحوه بالسرعة ذاتها ، وكأنهما يتبعانه بالتحديد ..

وعاد الرجل للارتفاع ، وهو يطلق صاروخا محدودا ، نحو الصاروخين اللذين يتبعانه ، فانقض عليهما على الفور ، وأصاب أحدهما ، وانفجر معه بدوى مكتوم ..

ولكن الصاروخ الثانى واصل طريقه ، على الرغم من مناورات الخصم ، الذى راح يرتفع وينخفض ، ويدور حول نفسه ..



ومن فقازيه الضخمين السميكين ، انطلق وابل من الرصاصات ، نحو الرجال الخمسة ، وراح يحصدهم فى سرعة وعنف ، وبلا رحمة .

ولحق به الصاروخ ..

وعلى مسافة نصف المتر منه ، انفجر ..

كان انفجارًا محدودًا ، لم يبد أنه قد ترك أثرًا واضحًا فى ذلك الغريب ، باستثناء المادة الحمراء الداكنة ، التى تفجّرت منه ، وتناثرت على الزى العجيب والخوذة ، و ...

« خطأ .. خطأ .. » ..

تفجّر الصوت فى عنف ، حاملاً غضب الدنيا كلها ، عبر مكبّر صوتى ، حتى بدا أشبه بقنبلة جديدة تنفجر فى المكان ، قبل أن يبرز الجنرال (جيمى تورنسول) ، المسئول عن الفرق الخاصة وفرق الاغتيالات ، فى المخابرات المركزية الأمريكية ، من حجرة المتابعة ، وهو يلوّح بقبضته ، صارخًا :

- كان ينبغى أن تستخدم جهاز التشويش الإليكترونى .

دار ذلك الغريب الطائر دورة أخيرة حول نفسه ، مع ظهور الجنرال (تورنسول) ، ثم هبط إلى الأرض فى رفق ، فى نفس اللحظة التى نهض فيها الجنود الثلاثة ، الذين أصابتهم رصاصاته الزائفة من قبل ، والأصباغ الحمراء تغمر صدورهم ، وخلع صاحب الزى العجيب خوذته ، وهو يغمغم :

- معذرة يا سيّدى الجنرال .. لم أنتبه إلى هذا .

صاح به الجنرال (تورنسول) فى غضب هادر :

- هذا ليس عذرًا مقبولاً يا (جاك) .. خطأ كهذا كفيل بتدميرك تمامًا ، ويبشّر بهزيمة ساحقة أمام خصومك ، فى لحظة المواجهة الفعلية .

تمتم (جاك) فى شىء من الارتباك :

- المفترض أننا فى مرحلة التدريب يا سيّدى الجنرال .

صرخ (تورنسول) :

- والمفترض أيضًا أن تتجاوزها بنجاح ، بعد الدروس النظرية ، التى تلقيتها حول هذا الزى ، والأسلحة الملحقة به .

زفر (جاك) فى توتر ، وغمغم :

- الدروس النظرية تختلف عن الاحتكاك الفعلى يا سيّدى الجنرال .. هذا ما لقنتنا إياه ، فى أثناء فترة تدريبنا .. ومشروع (السوبرمان) هذا حديث للغاية ، وطبقًا لما لدى من معلومات ، فأنا أول شخص يستخدمه بصورة عملية .

لوّح الجنرال (تورنسول) بذراعيه فى عصبية ، وهو يقول :

- ولكنك واحد من الفريق ، الذى توليت تدريبه بنفسى ، والمفترض أنكم أفضل فريق فى الإدارة كلها ، وأنكم

أكثر قدرة على فهم واستيعاب الأسلحة والتكنولوجيا الحديثة .

وراح جسده كله يرتجف من فرط الانفعال ، وهو يلوّح بقبضته ، متابعًا :

- هل تعلم كيف حصلت على حق استخدام مشروع (السوبرمان) هذا ؟!.. ألا تدرك لماذا أخرجت أحدث أسلحتنا من المخازن السرية ؟!.. إننا نواجه خصمًا رهيبًا يا رجل .. نواجه خصمًا يحتاج إلى كل قوتنا وقدراتنا للتصدّى له .

مطّ (جاك) شفتيه ، وكأنما لا يروق له الحديث ، وتمتم :

- إنه مجرّد رجل واحد يا جنرال .

صرخ (تورنسول) فى وجهه :

- رجل واحد ؟!.. أنت تقول هذا ؟!.. أنت يا (جاك) ؟! هل نسيت ما فعله بك هذا الرجل ، أنت و(ماتسون) و(ألبرت) ؟!.. هل نسيت أنه حطّم مستقبل (ألبرت) ، وأصاب (ماتسون) بإصابات فادحة ؟!.. ألا تراودك حتى الرغبة فى الانتقام ؟!

أجابه (جاك) فى ضيق :

- بالتأكيد يا سيّدى الجنرال .. بالتأكيد .. ولكن ..

قاطعه (تورنسول) فى غضب صارم :

- لا يوجد لكن .. أنا أقدر على تقييم قوة الخصم .. لقد واجهته مواجهة فعلية من قبل ، وأدرك قدراته جيدًا(*).. إننى حتى أشكّ فى قدرة مشروع (السوبرمان) هذا على التصدّى له .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (جاك) ، وهو يقول :

- ليس إلى هذا الحد يا جنرال .. لقد واجهت الرجل بنفسى أيضًا ، وأعلم أنه قوى ماهر عنيد صلب ، ولكنه فى النهاية مجرّد بشر .. لا يمكنه أن يتصدّى لزى منيع كهذا . لقد رأيت بنفسك ما فعلته بالآليين والجنود وعربة الرادار .

قال (تورنسول) فى حدة :

- ولكن الصاروخ لحق بك فى النهاية .

هزّ (جاك) كتفيه ، واحتفظ بابتسامته الساخرة ، وهو يقول :

- ذلك الرجل لن يطلق نحوى الصواريخ الموجّهة بالتأكيد .

(*) راجع قصة (عقارب الساعة) .. المغامرة رقم (١٠٥) .

انعقد حاجبا (تورنسول) فى غضب ، وهو يتطلع إلى ابتسامته الساخرة ، قبل أن يقول فى صرامة :

- أهذا رأيك ؟

أجابه (جاك) :

- بالتأكيد يا سيّدى الجنرال .

مال الجنرال (تورنسول) نحوه كثيرًا ، حتى كادت أنفاسه تلفح وجهه ، وهو يقول :

- فليكن يا (جاك) . سنناقش رأيك هذا مرة أخرى ، ولكن بعد مواجهتك الفعلية مع (أدهم صبرى) .

أطلّت النظرة الساخرة من عينى (جاك) هذه المرة ، على الرغم من صوته الجاد الحازم ، وهو يجيب :

- بالتأكيد يا سيّدى الجنرال .. بالتأكيد .

تراجع (تورنسول) ، وقد ازداد انعقاد حاجبيه ، وبدت عليه علامات الغضب أكثر وأكثر ، وهمّ بقول شىء ما ، عندما هرع إليه أحد الجنود ، حاملاً الهاتف اللاسلكى ، وهو يقول :

- سيّدى الجنرال .. مكتبك حوّل إلينا مكالمة ، يؤكّد صاحبها أنها هامة وعاجلة للغاية .

التقط (تورنسول) الهاتف ، ووضعه على أذنه فى سرعة ، وهو يقول :

- الجنرال (جيمى تورنسول) .. من المتحدّث ؟!

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستمع إلى محدّثه ، وبدا الانفعال العنيف على وجهه وهو يقول :

- أحسنت يا رجل .. أحسنت .. ستحصل على مكافأتك بالطبع .. وسأوصى لك بمكافأة إضافية أيضًا .

وأنهى الاتصال ، وعيناه تبرقان فى شدة ، والتفت إلى (جاك) ، قائلاً فى انفعال شديد :

- يبدو أن المواجهة ستحسم بأسرع مما تتصوّر يا (جاك) .

وارتجفت الكلمات على شفتيه ، واشتركت مع جسده كله فى موجة انفعال عارمة ، وهو يضيف :

- لقد عثرنا على (أدهم صبرى) وعرفنا أين ستكون أرض المعركة .

وعلى نحو ما ، وفى نفس اللحظة التى نطق فيها اسم (أدهم) ، انتقلت ارتجافة الانفعال إلى (جاك) .. وعلى نحو أكثر عنفًا ..

* * *

ارتفع رنين الهاتف فى قصر (السنيورا) ، فى تمام الثانية عشرة ظهرًا ، والتقط رئيس خدمها سمّاعته ، وهو يقول فى تعال عجيب :

ـ من المتحدّث ؟
أتاه صوت (بل هايدن) ، وهو يقول فى لهفة :
ـ أنا (بل هايدن) .. من الاتحاد .. أريد التحدُث إلى (السنيورا) .
أجابه رئيس الخدم بلهجته المتعالية :
ـ (السنيورا) نائمة الآن يا سنيور (هايدن) .. هل يمكنك الاتصال فى وقت آخر ؟
قال (هايدن) فى حدة :
ـ كلا .. لا يمكننى الاتصال فى وقت آخر .. إنه أمر عاجل للغاية .. أريد التحدُث معها الآن .
انعقد حاجبا رئيس الخدم ، وهو يقول :
ـ لست أدرى ما إذا كان من اللائق أن أوقظها من نومها ، خاصة وأنها لم تنم إلا منذ ساعة واحدة على الأكثر ، و ...
قاطعه (هايدن) بغضب شديد :
ـ قلت لك : أيقظها يا رجل .. الأمر بالغ الأهمية والخطورة ، وأراهنك على أنها ستسحق كل عظمة من عظامك ، لو لم توقظها على الفور .
تراجع رئيس الخدم فى دهشة ، وهمّ بقول شىء ما ، عندما ارتفع صوت (السنيوا) ، عبر خط الهاتف الخاص بها ، وهى تقول فى توتر :

ـ أغلق الخط يا (بينو) .. سأستقبل المكالمة بنفسى .
كان صوتها يحمل الكثير من إرهاقها وعصبيتها ، وهى تكمل :
ـ ماذا لديك يا (هايدن) ؟
أغلق رئيس الخدم الخط ، وهزّ كتفيه فى لامبالاة ، ومطّ شفتيه وهو يعود إلى عمله فى استعلاء ، فى حين أجاب (هايدن) السينورا فى لهفة شديدة :
ـ (توم) خرج لملاقاة (أدهم صبرى) فى (نيوآرك) .
التقى حاجباها فى شدة ، وهبّت من فراشها ، وهى تقول فى حدة :
ـ خرج لملاقاته ؟!.. ولماذا لم يتصل بى أوّلًا ؟
أجابها (هايدن) :
ـ إنه يريد أن يتولّى الأمر بنفسه ، ولم يكد يتلقى الاتصال من تلك الحانة ، حتى اصطحب (آلفريد جاكسون) و(وايت ويلى) ، وخرجوا للانتقام من ذلك المصرى ، فى حين تعلّلت أنا بـ ..
قاطعته فى عصبية شديدة :
ـ أية مكالمة ؟!.. وأية حانة ؟!
ألقت سؤاليها ، وهى تلتقط واحدة من سجائرها الرفيعة الطويلة ، وتدسّها بين شفتيها الجميلتين ، فأجابها بسرعة :

- صاحب الحانة ، التى نقضى فيها أوقاتنا فى المعتاد ، اتصل به منذ قليل ، وأخبره أن رجلا سكيرًا جاء إلى الحانة بالمصادفة ، وقال إنه رأى (أدهم صبرى) فى (نيو آرك) بالقرب من الإستاد الأوليمبى .

أشعلت سيجارتها ، وقد التقى حاجباها فى توتر بالغ ، وارتجفت أصابعها فى عصبية زائدة ، وهى تنفث دخان سيجارتها ، قائلة :

- رجل جاء بالمصادفة ؟!

أجابها (هايدن) فى حماس :

- نعم .. الرجل رأى (أدهم) هذا وتعرّفه على الفور ، بسبب صورته ، التى عرضها (التليفزيون) عدة مرات ، باعتباره رجل مخابرات أمريكيًا ، يحمل اسم (تيم بارتون) ، وعندما ذهب إلى الحانة ، كان الـ ...

قاطعته فجأة ، هاتفة :

- يا للشيطان !

ارتبك ، وهو يسألها :

- ماذا حدث يا سنيورا ؟!

صاحت فى عصبية زائدة :

- أيها الأغبياء !.. كيف لم تنتبهوا إلى الخدعة ؟!.. هل بلغ بكم الغباء حد الإيمان بمصادفات عجيبة إلى

هذا الحد ؟!.. كيف تصوّرتم أن سكيرًا سيتعرّف (أدهم) ، ويحدّد موقعه بهذه الدقة ؟!.. بل وكيف صدّقتم أن رجلا مثل (أدهم صبرى) سيجول فى الطرقات بوجه عار ، بعد أن أصبح حديث (أمريكا) كلها ؟!

ارتبك (هايدن) ، واضطرب أكثر ، وهو يقول :

- ما الذى تقصدينه بالضبط يا سنيورا ؟!

كادت أحبالها الصوتية تتمزّق ، وهى تقول فى غضب هادر :

- إنها خدعة من (أدهم) بالتأكيد أيها الأغبياء .. خدعة لاستدراج (توماس) .

كادت الدهشة تذهب بعقل (هايدن) ، وهو يهتف :

- (أدهم) هو الذى يسعى لاستدراج (توم) ؟!.. ولكن لماذا ؟!

صاحت فى ثورة :

- من الطبيعى أن تعجز عن الفهم ، فعقولكم لم تعتد التعامل مع هذا الأسلوب البارع المحنّك .. ألم تستوعب السبب ، الذى يدعو (أدهم) لاستدراج (توم) ، أو استدراجكم جميعًا ؟!.. لقد أدرك أنكم تشكلون خطرًا مستمرًا بالنسبة له ، ورجل مثله لن يضيع وقته فى انتظار ضرباتكم ، أو القلق من احتمالات حدوث

مواجهة بينه وبينكم فى أية لحظة . أنه سيقلب الموقف كله رأسًا على عقب ، ويحدد هو زمان ومكان المعركة ، ويستدرجكم إليها .

انعقد حاجبا (هايدن) فى شدة ، وهو يقول :

ـ يا للشيطان !.. أتعنين أنه فخ ؟

هتفت فى حنق رهيب :

ـ بالتأكيد .. فخ للإيقاع بكم أو ...

بترت عبارتها بغتة ، وسرت موجة متوترة عنيفة فى جسدها ، قبل أن تضيف :

ـ أو بى .

لم يفهم (هايدن) ما تعنيه بعبارتها الأخيرة ، وهم بسؤالها عنها ، لولا أن تابعت فى مزيج من الغضب والصرامة الشديدين :

ـ لقد أخطأ (توماس) هذه المرة أيضًا ، واستنفد كل فرصه ، ولم يعد يستحق الرحمة .

ازدرد (هايدن) لعابه فى صعوبة ، وهو يقول :

ـ سنيورا .. هل تعنين أن ...؟

قاطعته فى صرامة وحشية :

ـ نعم يا (هايدن) .. لقد حانت اللحظة التى ينبغى أن تقدم فيها المقابل لما تقاضيته وستتقاضاه منى ..

لا تمنح (توماس) فرصة مواجهة (أدهم صبرى) قط .. اقتله قبل أن يصل إليه يا (هايدن) .. اقتله قبل أن يقع فى قبضته .

وارتجف جسده كله مع استطرادتها الشرسة :

ـ اقتله بلا رحمة ..

ارتجف بكل العنف والرهبة ، و ..

والخوف ..

* * *

أدارت (جيهان) عينيها ، عبر منظار مقرّب قوى ، فى المنطقة المحيطة بالإستاد الأوليمبى فى (نيوآرك)، قبل أن تغمغم فى اهتمام :

ـ لم يظهر أحد بعد .

أجابها (أدهم) فى هدوء ، وهو منهمك فى صنع شىء ما :

ـ اطمئنى يا زميلتى العزيزة.. سيظهر بعضهم حتمًا.

التفتت إليه ، قائلة فى قلق :

هل تعتقد أن الخدعة ستنطلى عليهم ؟

توقف عما يفعله لحظة ، قبل أن يدير عينيه إليها، قائلا:

ـ سيساورهم الشك بالتأكيد ، ولكنه لن يمنعهم من الحضور .

قالت فى شىء من التوتر :

ـ سيتخذون احتياطاتهم على الأقل .

أجاب بابتسامة هادئة :

ـ هذا أمـر طبيعى .

تطلعت إليه لحظة فى صمت ، قبل أن تسأله :

ـ ألا يقلقك شىء أبدًا ؟

أجاب بسرعة :

ـ بل يقلقنى كل شىء تقريبًا ، ولكننى لا أتوقف كثيرًا عند الشعور بالقلق ، بل أسعى لتحويل طاقته كلها إلى إجراء عملى ، لمواجهة الشىء الذى يثير قلقى ، وإيجاد وسيلة للتصدى له ، أو حتى للفرار منه ، لو اقتضى الأمر .

بدا عليها الانبهار لحظة ، وانفرجت شفتاها ، وكأنها تهمَ بقول شىء ما ، إلا أنها لم تلبث أن سيطرت على مشاعرها ، وأشاحت بوجهها عنه ، وعادت تراقب المنطقة ، وازدردت لعابها لكتمان انفعالها ، قبل أن تقول :

ـ المنطقة تبدو هادئة للغاية .

أجابها ، وهو يعود للانهماك فى عمله :

ـ هذا أمر طبيعى .. إننا ظهر الأحد ، ولا توجد أية مباريات هامة .

سألته :

ـ ألهذا اخترت المكان كأرض للمعركة ؟

أجابها فى بساطة :

ـ بالطبع ، فمن هنا يمكنك مراقبة المنطقة كلها ، والهدوء يساعدك على كشف كل من يقترب فى سهولة .

ابتسمت ، مغمغمة :

ـ هل تعلم أنك بارع للغاية فى هذا المضمار ؟

سألها :

ـ أى مضمار ؟

أجابت فى حماس :

ـ فى التكتيك والمناورة .. أراهن على أنك كنت ستحظى بشهرة واسعة ، لو واصلت العمل فى صفوف القوات الخاصة ، ولم يكن ليدهشنى أن تصبح يومًا وزيرًا للدفاع .

انعقد حاجباه ، وهو يقول :

ـ يا إلهى !.. ومن يحتمل تلك المناصب المعقدة ؟

ضحكت قائلة :

ـ آه .. نسيت أنك عاشق للحرية ، وأن ...

بترت عبارتها بغتة ، وانعقد حاجباها فى شدة ، فالتفت إليها فى اهتمام ، وسألها :

- هل من جديد ؟!
أجابته فى انفعال واضح :
- لقد وصل (توماس كلارك) .
التقى حاجباه لحظة ، ثم نهضَ يلتقط منظاره المقرّب بدوره ، وهى تتابع :
- لقد أوقف سيارته عند البوابة الخلفية للاستاد ، وهاهوذا يغادرها ، ويدير عينيه فيما حوله فى اهتمام :
وضع (أدهم) منظاره المقرّب على عينيه بدوره ، وتطلع إلى (توماس) ، الذى بدا شديد الشبه بصورته ، التى حصل عليها رجال مخابراتنا فى (نيويورك) ، ولكن وجوده منفردًا ، وذلك الهدوء الشديد الذى اكتنفه ، أثارا قلق (أدهم) وشكوكه ، فتمتم :
- عجبًا !!
سألته (جيهان) فى قلق :
- هذا الموقف لا يبدو طبيعيًا .. أليس كذلك ؟!
أجابها (أدهم) فى حذر واضح :
- بالتأكيد .. ليس من الطبيعى أن يأتى (توماس) منفردًا ، وليس من المنطقى أيضًا أن يخرج من سيارته ، ويقف إلى جوارها بكل هذا الوضوح ، إلا إذا ..
بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، فهتفت به ،

وهى تخفض المنظار المقرّب عن عينيها :
- إلا إذا ماذا ؟!
هتف ، وهو يجذبها بعيدًا عن النافذة بسرعة :
- إلا إذا كان يسعى للفت أنظارنا عمدًا ، ليتيح للآخرين الفرصة لتحديد موقعنا .
هتفت بدورها :
- ولكن لماذا ؟!
لم تكد تتمّ عبارتها ، حتى برزت تلك الهليوكوبتر بغتة ، من خلف بناية قريبة ، وبدا وكأنها تتجه نحو الطابق الذى يقفان فيه مباشرة ، فصاح بها (أدهم) :
- هذا هو السبب .
فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان (وايت ويلى) يصرخ فى انفعال ، عبر جهاز اتصال لاسلكى :
- يا للشيطان !.. (توماس) هذا عبقرى بالفعل .. لقد نجحت خطته ، وكشف ذلك المصرى موقعه .. إنه فى البناية رقم تسعة ، من تلك الأبراج الحديثة .. إننى أراه فى وضوح .
صاح به صوت زميله (آلفريد جاكسون) فى حماس :
- ماذا تنتظر إذن يا رجل ؟.. اضربه باللّه عليك .

ارتسمت على شفتى (وايت ويلى) ابتسامة جذلة ، وهو يقول :

- على الرحب والسعة يا صديقى .

ووضع مدفعًا محمولاً على كتفه ، وهو يقول لقائد الهليوكوبتر فى حماس ، ويصوّب مدفعه مباشرة إلى النافذة ، التى لمح عندها (أدهم) و(جيهان) :

- هيا يا رجل .. سننطلق فى خط مباشر .

كان (أدهم) و(جيهان) يعدوان فى تلك اللحظة ، نحو باب الشقة ، و(توماس) يتابع مسار الهليوكوبتر من موضعه ، وهو يقول فى انفعال :

- هيا .. اضرب يا (ويلى) .. اضرب .

وفى حماس منقطع النظير ، تشعله الرغبة الصارمة فى الثأر ، ضغط (ويلى) زناد مدفعه المحمول ، فانطلق منه صاروخ موجّه ، اخترق زجاج نافذة الشقة ، التى رأى فيها (أدهم) و(جيهان) و ...

ودوى الانفجار ..

وبمنتهى العنف ..

* * *

١٠ - ضربة حاسمة ..

انحدرت دمعة صامتة ساخنة من عينى المصوّر الأمريكى (جان زوكرمان) ، وهو يتطلّع فى حزن مرير إلى صورة زوجته (أنجيل) ، التى لقيت مصرعها فى (المكسيك)(*) ، وتحسّس آلة التصوير الخاصة بها فى حنان ، وهو يتمتم :

- مسكينة أنت يا زوجتى العزيزة .. قتلوك غدرًا وغيلة ، لأنك وقعت على سرّ من أسرارهم دون قصد .. يا للأوغاد !

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف غاضبًا :

- ولكنهم سيدفعون الثمن .. أقسم لك إن دمك لن يذهب هدرًا ..

أقسم لروحك الطاهرة أن أنتقم منهم شر انتقام .

كانت مشاعره قد فاضت فى ذلك الصباح بالتحديد ، وهو يجمع حاجيات زوجته الراحلة ، ويستعد لترتيبها وحزمها ، استعدادًا لإعادتها إلى موطنهما ، فى الولايات

(*) راجع قصة (اتحاد القتلة) .. المغامرة رقم (١٠٧) .

المتحدة الأمريكية ، فانهمرت دموعه على نحو لم يعتده فى حياته كلها ، وامتلأت نفسه بمزيج من الغضب والحنق والمرارة والألم ، وهو يستعيد ذكرياته معها ، ولحظاتهما الحلوة الهنيئة ، وأصابعه تجوس فى حقيبتها، وتتحسَّس أدوات التصوير الخاصة بهُا ، وعدساتها ، وكأنما يتلمّس مواضع أصابعها فوقها ..

وفى مرارة شديدة ، انطلقت من أعماقه زفرة ملتهبة ، وهو يحمل آلة التصوير ، التى عثر عليها فى الجبال ، وينهض متمتمًا :

ـ أقسم لك يا زوجتى الحبيبة .

كان يستعد لإحضار حقيبة كبيرة ، لوضع حاجياتها الشخصية ، عندما حدث أمر لم يخطر بباله قط ..

إنه لم يكد ينهض من مقعده ، حتى اخترقت رصاصة زجاج النافذة المواجهة له ، وحطمتها بدوى مكتوم ، قبل أن تغوص فى المقعد ، فى نفس الموضع الذى كان يحتله رأسه منذ لحظة واحدة ..

وانتفض جسد (زوكرمان) فى عنف ، واتسعت عيناه فى ذعر وارتياع ، وهو يحدّق فى موضع الإصابة ، قبل أن يدير عينيه إلى النافذة ، ويهتف بصوت متحشرج مختنق :

ـ رباه !.. إنها ..

قبل أن يتمّ عبارته ، التقطت عيناه ، عبر الزجاج المحطّم ، ذلك الرجل ، الذى يقف إلى جوار واحدة من أشجار الغابة القريبة ، ويصوّب إليه بندقية مزودة بمنظار مقرّب ..

وقفز (زوكرمان) ينبطح أرضًا ..

قفز فى نفس اللحظة ، التى انطلقت فيها رصاصة ثانية ، عبرت النافذة المحطّمة ، وغاصت فى الجدار ..

وخفق قلب (زوكرمان) فى عنف ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى !.. لقد قرّروا التخلص منى أيضًا .

زحف بأسرع ما يمكنه نحو الهاتف ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها رصاصة ثالثة ، حطّمت نافذة أخرى ، واخترقت شاشة جهاز (التليفزيون) الكبير ، فتحطّم بدوىّ عنيف ، وتناثرت منه عشرات الشظايا الزجاجية الصغيرة ، فى كل الاتجاهات ..

وفى ارتياع شديد ، اختطف (زوكرمان) الهاتف ، ورفع سمّاعته ، وهو يضرب رقم إدارة الشرطة ، و ..

وتجمّدت أصابعه ، قبل أن يتمّ الرقم ..

لقد اختفت الحرارة من الهاتف ، ولم يعد استخدامه ممكنًا ..



وفى ارتياح شديد ، اختطف (زوكرمان) الهاتف ، ورفع سمَّاعته ،

وهو يضرب رقم إدارة الشرطة ..

وهتف (زوكرمان) ، فى لهجة أقرب إلى البكاء :

ـ يا للأوغاد !.. لقد اتخذوا كل الاحتياطات ، لضمان نجاح مهمتهم القذرة .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انطلقت رصاصتان فى آن واحد ، من جانبين مختلفين ، حطمت إحداهما الثريا الصغيرة فى السقف ، فسقطت منها قطع الزجاج فى كل مكان ، وغمرت جسده المنبطح على وجهه أرضًا ، فى حين نسفت الأخرى إناء شراب من الفخار ، فتناثر السائل فى كل مكان ..

وهنا أصبح من الواضح أنه ليس قاتلا واحدًا ..

إنهما قاتلان ..

على الأقل .

وضاعفت هذه الحقيقة من ذعر الرجل وارتياعه ، خاصة وقد أدرك أنه وقع فى مصيدة لافكاك منها ، وأن القتلة قد حاصروا منزله الصغير ، الذى اختار له خصيصًا هذا الموضع المنعزل ، القريب من الدغل ؛ ليضمن الهدوء وعدم الإزعاج ..

وكم شعر بالندم ، فى تلك اللحظة ، على اختياره هذا ..

لقد ساعدهم ، دون أن يدرى ، على أن يحكموا الفخ ..

وعلى أن يظفروا به فى يسر ..

وبكل ارتياعه وذعره ، راح يزحف فى كل مكان بلا هدى ، والرصاصات تتوالى محطمة زجاج النوافذ ، وقطع الأثاث ، وكل ما يعترض طريقها ..

ثم فجأة ، توقف انهمار الرصاصات ..

ومع توقفه ، ران على المكان بغتة صمت رهيب ، إزداد له خفقان قلب (زوكرمان) ، واتسعت له عيناه فى رعب ، وهو يتمتم :

- رباه !.. ماذا حدث ؟.. هل قرروا اقتحام المكان عنوة !

استمرّ الصمت المطبق لثوان أخرى ، بعد أن نطق عبارته ، وبدت له تلك الثوانى أشبه بالدهر ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، وتصبب على وجهه عرق غزير ، و..

وفجأة ، اخترق جسم آخر زجاج نافذة جديدة ..

جسم أشبه بقارورة صغيرة ، اشتعلت قطعة من القماش فى فوهتها ، وهى ترتطم بالأرض .. وتنفجر ..

ومع انفجارها ، تناثر منها سائل مشتعل ، مع ألسنة لهب صغيرة ، امتدت إلى كل قطع الأثاث فى آن واحد ..

وهنا تحول ذعر (زوكرمان) وارتياعه إلى رعب هائل ..

رعب سيطر على كل ذرة فى كيانه ، وجعله يرتجف فى شدة ، هو يصرخ :

- رباه !.. رباه !.. سيحرقوننى حيًا .

لم يعد أمامه خيار فى موقفه العنيف هذا ..

فإما أن يموت محترقًا ، أو يفرّ هاربًا ، لتصيده رصاصاتهم بلا جهد ..

وهذا يعنى أن الخيار لم يعد بين الموت أو الحياة ..

لقد صار خيارًا بين موت وموت ..

وفى انهيار تام ، ومع لفحات ألسنة اللهب ، انهمرت دموع اليأس من عينى (زوكرمان) ، وهو ينهض من موضعه ، ويعدو خارجًا ، وقد اختار الموت برصاصات المغتالين على الاحتراق بألسنة اللهب ..

كان قلبه يبكى فى يأس ومرارة ، وهو يدرك أنه هالك لا محالة ، وخاصة عندما تجاوز الباب ، الذى امتدّت ألسنة اللهب إلى إطاره ، ورأى أحد القاتلين يصوّب إليه بندقيته ، ويبتسم فى سخرية ، فصرخ بكل ما يعتمل فى أعماقه :

- أيها الوغد الحقير ..

ودوت الرصاصة ..

ومع دويها ، انتفض جسده فى عنف ، وخُيّل إليه أنه

سيهوى جثة هامدة فى الحال ، لذا فقد اتسعت عيناه فى دهشة ، عندما رأى جسد القاتل يندفع إلى الخلف ، ويرتطم بجذع الشجرة فى قوة ، وبقعة دم كبيرة تغمر رأسه ، قبل أن يهوى جثة هامدة ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت مألوف ، يهتف باللغة الأسبانية :

- انبطح أرضًا .

ألقى (زوكرمان) نفسه أرضًا على نحو غريزى ، وقلبه يخفق فى عنف شديد ، ولمح من طرف عينه القاتل الثانى ، وهو يستدير فى سرعة ، ليواجه شخصًا يحمل مسدسًا كبيرًا ، ورأى ذلك الشخص ينحنى فى سرعة ، متفاديًا رصاصة انطلقت من بندقية القاتل الثانى ، ثم يطلق نحوه كل ما تبقى فى خزانة مسدسه ، فيطيح به فى عنف ، ويسقطه جثة هامدة ، قبل أن يعتدل ، ويعيد مسدسه إلى حزامه ، ويتجه نحوه فى خطوات سريعة ، ليسأله بأمريكية ركيكة :

- سنيور (زوكرمان) .. أأنت بخير ؟!

رفع (زوكرمان) عينيه إلى ذلك القادم فى دهشة ، وهتف :

- المفتش (بابلو) ؟!

عاونه (بابلو) على النهوض ، وجذبه بعيدًا عن

المنزل المحترق ، فى خطوات أقرب إلى العدو ، وهو يقول لاهثًا :

- يبدو أننى وصلت فى الوقت المناسب .

هتف به (زوكرمان) فى حرارة :

- بدون أدنى شك .

سأله (بابلو) ، وهو يدفعه بسرعة ، نحو جذع شجرة كبيرة :

- قل لى يا سنيور (زوكرمان) .. هل تستخدم أسطوانة غاز فى أعمال الطهى .

أجابه (زوكرمان) :

- بالتأكيد ، ولكن لماذا ..

قبل أن يتمّ عبارته ، أتاه الجواب بأعنف وسيلة ممكنة ..

لقد انفجرت أسطوانة الغاز بفعل ألسنة اللهب ، وبدوى هائل ، مطلقة كرة من النار ، حلقت أعلى المنزل المحطّم لحظة ، ثم لم تلبث أن تحوّلت إلى كتلة من دخان أسود مخيف ، فى حين تناثرت الشظايا فى مساحة كبيرة ، وكادت تصيب (زوكرمان) و(بابلو) ، لولا أن دفع الأخير الأوّل فى اللحظة المناسبة ، خلف جذع الشجرة الكبيرة ، وهو يهتف :

- أسرع ..

استغرق الدوى لحظات قصار ، مع تناثر الشظايا ، ولكنها بدت أشبه بعام كامل ، قبل أن يهدأ الموقف إلى حد ما ، ويسود صمت مخيف ، إلا من طقطقة النيران ، وهى تلتهم أخشاب المنزل المشتعل ..

ثم قال (زوكرمان) فى انفعال :

- الأوغاد حاولوا قتلى .

انعقد حاجبا المفتش (بابلو) ، وهو يغمغم :

- كنتُ أتوقع هذا .

التفت إليه (زوكرمان) فى دهشة ، قائلاً :

- كنت تتوقعه .

هزّ (بابلو) كتفيه ، وهو يجيب فى شىء من الحدة :

- لماذا تظننى هرعت إلى هنا ؟

حدّق (زوكرمان) فى وجهه لحظة ، قبل أن يلتفت إليه بجسده كله ، ويسأله فى توتر شديد :

- ما الذى تعرفه بالضبط أيها المفتش ؟!

أجابه (بابلو) فى صرامة :

- الذى أعرفه هو أنك لا تواجه خصومًا عاديين يا سنيور (زوكرمان) .

سأله (زوكرمان) ، وقد تضاعف توتره :

- ماذا تعنى بأنهم غير عاديين ؟

صاح به (بابلو) فى عصبية :

- إنهم غير عاديين فحسب .. لماذا تصرّ على معرفة تفاصيل كل شىء ؟

هتف (زوكرمان) فى حدة :

- لأنها زوجتى ، تلك التى لقيت مصرعها بسببهم .

أشاح (بابلو) بوجهه ، قائلا :

- لن يمكنك قط إعادتها إلى الحياة .

قال (زوكرمان) غاضبًا :

- ولكن يمكننى الثأر لها .

عاد (بابلو) يلتفت إليه فى حدة ، قائلا :

- هذا لو بقيت على قيد الحياة .

اتسعت عينا (زوكرمان) ، وهو يحدّق فى وجهه ، قائلاً :

ماذا تعـ ..

قاطعه (بابلو) فى عصبية شديدة :

- اسمع يا سنيور (زوكرمان) .. لو أنه هناك شىء أكرهه وأبغضه ، بعد الخيانة ، فهو العناد الغبى ، الذى لا يستند إلى عقل أو منطق .. لقد جازفت بحياتى ومستقبلى ، عندما هرعت إلى هنا لإنقاذك ، ولو أننى

تأخرت ثانية واحدة ، لما كان لقدومى فائدة .. انتهز الفرصة إذن ، وأسرع بالفرار ، وبإخراج نفسك من هذا الموقف العصيب .. لقد اتخذوا قرارًا بقتلك ، ولن تجد شبرًا واحدًا ، فى (المكسيك) كلها ، يمكنك أن تختبئ فيه .. ولا تحاول اللجوء إلى القانون هنا ، لأنه لن ينصفك فى الظروف الحالية .. دعهم يتصوّرون لبعض الوقت أنك قد لقيت مصرعك فى المنزل المحترق ، واستغل عدم الفهم هذا للخروج من (المكسيك) كلها .. خذ بنصيحتى ، قبل فوات الأوان .. أسرع .

قال (زوكرمان) فى عصبية :

- ولكننى وعدت روح زوجتى بالثأر لها .

صرخ (بابلو) فى وجهه :

- ألغ وعدك يا رجل .. ألقه خلف ظهرك ، قبل أن تلحق روحك بروحها ، ولا تجدان من ينتقم لكما .. ارحل أيها الغبى .. ارحل وعد لتنتقم فى وقت آخر .. ارحل .. ارحل .

التقى حاجبا (زوكرمان) فى شدة ، وهو يتطلع إلى (بابلو) وطرقعة ألسنة اللهب تصك أذنيه ..

كان عليه أن يتخذ قرارًا مصيريًا حاسمًا بالنسبة له ..

ولم يكن لديه من الوقت ما يكفى لدراسته والتفكير فيه ..

بل لم يكن لديه وقت على الإطلاق ..

وكان عليه أن يتخذ قراره فى هذه اللحظة بالتحديد ..

وبمنتهى الحسم ..

* * *

على الرغم من عقلية (أدهم) النادرة ، وقدرته المدهشة على استنباط الأحداث القادمة ، واستنتاج تصرفات الخصم مسبقًا ، إلا أنه لم يتوقَّع أو يتصوَّر لحظة واحدة ، أن (توماس) ورجاله يمكن أن يقدموا على خطوة بالغة العنف والشراسة إلى هذا الحد ..

فأمثالهم من القتلة المحترفين ، لا يميلون قط إلى هذه الأساليب الشرسة ، حتى لا ينكشف أمرهم ، أو يضعوا أنفسهم فى مواجهات مباشرة مع قوات الشرطة والأمن ..

ولهذا لم يضع تلك الخطوة ، التى تبدوا أقرب إلى أعمال الإرهابيين ، منها إلى اساليب القتلة المحترفين ، فى حساباته قط ..

لم يكن يعتقد أبدًا أنه من الممكن أن يتمادوا فى الأمر ، إلى حد إطلاق قذيفة صاروخية على بناية سكنية ، فى موقع متميِّز كهذا ..

هذا لأنه لم يدرك قط كم بلغ الغضب فى أعماقهم ، وكم سيطرت عليهم روح الثأر والانتقام ، إلى الحد الذى ذهبت فيه عقولهم ، وانمحت منطقيتهم الحذرة ..

لقد حوّلتهم هزائمهم أمامه إلى وحوش شرسة ، لا يعنيها سوى الفوز بانتصار واضح ..

ومهما كان الثمن ..

ولكن المفاجأة لم تفقده القدرة على حسن التصرّف ..

لقد جذب زميلته (جيهان) من يدها ، وانطلق يعدو معها نحو باب الشقة ، وهى تهتف :

- لن تنجح هذه المرة .. لن ننجح .

صاح بها ، وهو يعدو بسرعة مدهشة ، خُيل إليها معها أن قدماها قد ارتفعتا عن الأرض ، وأنها تطير خلفه كعصفور صغير :

- لا تنطقى هذه العبارة أبدًا .

وفى نفس اللحظة ، التى دفعها فيها خارج الباب ، دوى الانفجار .

كان انفجارًا عنيفًا بالفعل ، دفعهما أمامه لثلاثة أمتار كاملة ، قبل أن يلقى بها فى الممر المواجه للباب ، فى حين انتزع (أدهم) من مكانه ، وطار به لمترين ، ثم ضرب جسده بالجدار فى عنف ..

وعندما رفعت (جيهان) عينيها إليه ، كان ينهض فى سرعة ، على الرغم من عنف الارتطام ، ومن الجرح الواضح فى جبهته ، والذى يسيل منه الدم ، ليغمر الجانب الأيسر لوجهه ، فهتفت به :

- دعنا نبتعد فى سرعة .. سيطلقون صاروخا آخر بالتأكيد .

أدهشتها نظرة الحزم الصارمة فى عينيه ، وهو ينتزع مسدسه من حزامه ، قائلا :

- إننا لم نجذ بهم إلى هنا لنفرّ منهم ثانية أيتها النقيب .

كانت تدرك مدى غضبه ، عندما يخاطبها بهذا اللقب الرسمى ..

ولكن هذا لم يغضبها ..

لقدانزاحت كل مشاعرها جانبًا ، مع خوفها الشديد عليه ، وهو يعود إلى الشقة ، التى دمّرها الانفجار ، ويتجاوز بعض الأجزاء المشتعلة منها فى خطوات سريعة ، وهو يتجه نحو النافذة التى عبر منها الصاروخ مباشرة ، فنهضت تعدو خلفه ، هاتفة :

- (أدهم) .. سيرونك فى وضوح من تلك البقعة .

لم تكن دهشتها بأقلّ من دهشة (وايت ويلى) ، الذى رأى (أدهم) يتجه نحو النافذة ، ويتطلع إلى الهليوكوبتر عبرها ، فى تحد سافر ، فقال عبر جهاز

اللاسلكى فى توتر غاضب :

- إنه يواجهنا ثانية يا (توم) .. من يتصوَّر نفسه هذا الرجل ؟!.. هل يظن أنه أقوى من الهليوكوبتر ؟

انعقد حاجبا (توماس) ، وهو يتلقَّى هذه الرسالة ، وتطلَّع من موضعه إلى النافذة المحطَّمة ، التى يتصاعد منها الدخان ، وإلى (أدهم) ، الذى وقف فيها صامتًا ، صارمًا ، على نحو يثير الدهشة بالفعل ، فى حين هتف (آلفريد جاكسون) ، عبر جهاز اتصال آخر :

- عجبًا .. ألم يقتله الصاروخ الأوَّل ؟!

أجابه (ويلى) فى عصبية :

- من الواضح أنه لم يفعل .. يبدو أن لهذا الرجل تسعة أرواح كالقطط يا رجل(*) .

هتف به (جاكسون) :

- اسلبه ما تبقَّى له من أرواح إذن يا رجل ، ولقِّنه درسه الأخير فى الحياة .. اطلق عليه صاروخًا آخر .

عدَّل (ويلى) مدفعه المحمول فوق كتفه ، وهو يجيب فى حزم :

(*) الأمريكيون ، والأوربيون يقولون : إن للقط تسعة أرواح ، وليس سبعة كما يردده الشرقيون .

- إننى أستعد لإطلاقه بالفعل يا (جاك) .

وأشار بيده إلى الطيَّار ، فمال بالهليوكوبتر ، ثم انطلق بها مباشرة نحو النافذة ، التى يقف عندها (أدهم) ، و(ويلى) يصوِّب مدفعه ، ليطلق صاروخًا آخر..

ومن موضعها ، رأت (جيهان) هذا المشهد ، فهتفت مذعورة :

- احترس يا (أدهم) .. إنهم يهاجمونك مباشرة .

قالتها ، ثم اتسعت عيناها فى دهشة هائلة ، أقرب إلى الذهول ..

لقد ظلَّ (أدهم) فى موضعه ، ولم يتزحزح عنه قيد أنملة ..

كل ما فعله هو أن باعد بين قدميه قليلاً ، متخذًا نفس الوضع المعروف ، فى ميادين التدريب على الرماية ، ورفع مسدسه يصوِّبه إلى الهليوكوبتر ، التى بدأت تنقضَّ عليه مباشرة ..

وفى الهليوكوبتر ، انعقد حاجبا (ويلى) ، وهو يغمغم فى دهشة بالغة :

- ما الذى يفعله هذا الأحمق .. هل ينتحر بوسيلة جديدة .

أما (جيهان) ، فقد خيِّل إليها أنها تشاهد بعينيها

آخر لحظة فى حياة (أدهم صبرى) أو أن ارتطامه بالجدار قد أفقده صوابه ، وقدرته على التصرُّف السليم ، فى المواقف العصيبة ..

ولكن (أدهم) كان يسيطر على مشاعره وانفعالاته تمامًا ، ويصوِّب مسدسه بدقة بالغة ، وعيناه ترصدان انقضاضة الهليوكوبتر ، والموضع الذى يتخذه (ويلى) ، الذى دفع جسده خارجها قليلاً ، وهو يصوِّب مدفعه ، و ...

وأطلق (أدهم) رصاصته ..

رصاصة واحدة ، كانت تعرف هدفها جيدًا ، وهى تشق طريقها عبر الهواء ، لتغوص فى ذراع (ويلى) ، فى نفس اللحظة التى ضغطت فيها سبَّابته زناد المدفع المحمول ..

وصرخ (ويلى) من الألم ، وهو يميل بحركة غريزية عنيفة ، والصاروخ ينطلق من مدفعه إلى أعلى ، وينفجر فى الهواء ، على ارتفاع عدة مئات من الأمتار ..

ومن مؤخرة المدفع ، انطلقت دفقة من النيران والدخان ، كرد فعل لانطلاق الصاروخ ..

ومع زاوية الميل ، التى اتخذها (ويلى) ، بعد إصابته بالرصاصة ، انطلق رد الفعل هذا كله داخل

الهليوكوبتر وليس خارجها ، وأصاب قائدها فى صدره مباشرة ، فاقتلعه من مقعده ، وأطاح به فى الهواء ، وهو يطلق صرخة رعب وألم هائلة ، قبل أن يهوى من ارتفاع عشرة طوابق إلى الأرض ..

ومع فقد قائدها ، فقدت الهليوكوبتر مسارها وتوازنها أيضًا ، فانحرفت فى عنف ، ودارت حول نفسها على نحو مخيف ، وهى تنقض على زاوية البناية ، و(ويلى) يصرخ داخلها :

ـ اللعنة !.. اللعنة ..

وفى عنف شديد ، ارتطمت مروحة الهليوكوبتر بزاوية المبنى ، وتحطَّمت ، فاندفعت الهليوكوبتر فى الاتجاه المضاد ، وراحت تهوى بزاوية واسعة ، وكأنما تنقضّ على الاستاد الأوليمبى مباشرة ..

وفى ارتياع ، صرخ (توماس) :

ـ يا للشيطان !.. اقفز يا (ويلى) .. اقفز .

ولكن الهليوكوبتر كانت تدور حول نفسها على نحو مخيف ، لا يملك معه (ويلى) اتخاذ أية خطوة بإرادته ، فاكتفى بأن يصرخ فى انهيار :

ـ اللعنة .. اللعنة !..

اتسعت عينا (توماس) فى ارتياع ، وهو يتابع

ببصره الهليوكوبتر ، التى تجاوزت أسوار الاستاد ، وهوت فى ساحته ، وصرخات (ويلى) تنطلق منها عالية عنيفة ..

ثم حدث الانفجار ..

ولثوان ، وقف (توماس) جامدًا كالتمثال ، قبل أن يصرخ :

- (ويلى) .

ويعدو مقتحمًا المدخل الخلفى للاستاد ، فى محاولة يائسة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ..

ومن موقعها ، اتسعت عينا (جيهان) فى انبهار ، وهتفت :

- كيف فعلت هذا ؟

كان (أدهم) يراقب الموقف عبر النافذة ، فاستدار فى سرعة ، وقال فى صرامة ، دون أن يجيب سؤالها :

- هيا بنا .

تبعته بأقصى سرعتها ، وهى تسأله :

- إلى أين ؟

أجاب بنفس الصرامة :

- سنظفر بالوغد (توماس) ، قبل أن يفرّ منا .

انطلقا يعدوان مغادرين المكان ، واستخدما السلم للهبوط ، تبعًا لنظم الأمن المدروسة(*) حتى بلغا مدخل البناية ، وهناك انعقد حاجبا (جيهان) ، وهى تقول فى توتر :

- عجبًا !.. أين حارس البناية ؟!.. كيف لم يجذب كل هذا انتباهه ؟!

التفت (أدهم) بسرعة إلى الموضع ، الذى يفترض أن يحتله حارس البناية ، ثم انعقد حاجباه بدوره فى شدة ..

ولكن لسبب مغاير تمامًا لاختفاء الحارس ..

ففى مواجهته مباشرة ، كانت هناك لوحة أنيقة من النحاس الأصفر اللامع ، مثبتة على الجدار ، خلف مقعد الحارس مباشرة ، وتحمل اسم الشركة التى أشرفت على إنشاء المبنى ..

وعلى سطح تلك اللوحة اللامعة ، لمح (أدهم) ، انعكاسًا لصورة رجل يحتمى بواحد من الأعمدة الضخمة الأنيقة فى مدخل المبنى ، وهو يصوّب إليهما مدفعًا آليًا صغيرًا ، و ...

ويضغط زناده ..

* * *

(*) فى حالات الطوارئ يفضّل استخدام السلم بدلاً من المصعد ، خشية تعطّل الأخير أو إصابته .

١١ - السوبر مان ..

شعرت مساعدة (السنيورا) بإرهاق شديد ، مع افتقارها للنوم الهادئ ، وكتمت تثاؤبها فى صعوبة ، وهى لا تكاد ترفع جفنيها ، وتتطلع إلى زعيمتها ، التى بدت كأكثر ما يكون توترًا وعصبية ، وهى تقف فى شرفة القصر ، المطلة على حوض السباحة ، والغضب يكسو ملامحها كلها ، فغمغمت محاولة التخفيف من توتر الموقف :

- قلة ساعات النوم يورثك الكثير من التوتر والعصبية يا سنيورا .

أجابتها (السنيورا) فى صرامة شرسة :

- ليس هذا من شأنك .

تمنت مساعدتها لو أنها أخبرتها أن هذا من شأنها بالتأكيد ؛ لأنها لا تحظى بدورها بقسط وافر من النوم ، مع اضطرارها للبقاء متيقظة ، كلما أصيبت (السنيورا) بالسهاد أو الأرق ، إلا أنها آثرت الصمت ، وكتمت مشاعرها هذه فى أعماقها ، وهى تتمتم :

- بالتأكيد يا سنيورا .. بالتأكيد .

مطت (السنيورا) شفتيها الجميلتين فى غضب شديد ، وهى تقول :

- كل من حولى أغبياء وحمقى .. لا أحد يمكنه حتى تنفيذ الأوامر على نحو سليم .. الأخطاء تتساقط منهم كما لو كانوا وعاءً مثقوبًا يكتظ بها ..

تجاوزت المساعدة ترددها ، وهى تسأل فى حذر :

- أتقصدين رئيس الشرطة ، الذى لم ينتبه إلى احتمال تحايل المصور الأمريكى ، و ..

قاطعتها فى حدة :

- بل أقصد (توماس) .. ذلك الغبى الأحمق (توماس كلارك) .. لقد سقط فى الفخ الذى نصبه له (أدهم) كأى غرٍّ ساذج .

هزت المساعدة كتفيها ، وهى تقول بنفس الحذر :

- ربما لا يظفر به (أدهم) هذه المرة ، وربما ..

قاطعتها مرة أخرى فى عصبية :

- ربما ماذا ؟!.. لقد فشل ورجاله فى الإيقاع بـ (أدهم صبرى) ، عندما كان زمام الأمور بيدهم ، فكيف به وبهم ، عندما يمتلك هو ناصية الأمر كله ؟!

ثم انعقد حاجباها فى غضب ، وهى تستطرد منفعلة :

- إننى لا أتوقع أن ينجح (توماس) ورجاله فى الظفر بـ (أدهم) هذه المرة ، ولكن يقلقنى بشدة أن

يظفر هو بهم ، وكل ما أتمناه فى هذه اللحظة ، هو أن يصل (بل هايدن) فى الوقت المناسب .

همّت مساعدتها بقول شىء ما ، عندما ارتفعت طرقات دقيقة منتظمة على باب الحجرة ، فالتفتت السنيورا إليه ، قائلة فى عصبية :

- ادخل يا (بينو) .

دفع رئيس الخدم الباب ، وتقدّم نحوها فى خطوات واسعة شديدة الانتظام ، أشبه بالخطوة العسكرية التقليدية للجيوش الألمانية ، إبان الحرب العالمية الثانية ، ثم رفع رأسه فى اعتداد ، قائلاً :

- ذلك الطبيب يطلب رؤيتك فى الجناح الطبى يا سنيورا

انعقد حاجباها ، وهى تسأله :

- لماذا ؟.. هل استجدّ أمر ما ؟!

هزّ رأسه نفيًا فى بطء ، وأجاب :

- إنه لم يخبرنى .

مطّت شفتيها لحظة فى ضيق ، قبل أن تقول :

- فليكن .. سأذهب إليه على الفور .

انحنى (بينو) على نحو مسرحى ، وقال :

- سأبلغه يا سنيورا .

تابعته المساعدة ببصرها ، حتى اختفى من الحجرة ، ثم أدارت عينيها إلى (السنيورا) ، قائلة :

- تُرى لماذا يرغب ذلك الطبيب فى رؤيتك يا سنيورا ؟

أجابتها وهى تتجه إلى الباب :

- ربما تعانى ضيفتنا بعض المتاعب .

لحقت بها المساعدة ، هاتفة :

- هل تقصدين رفيقة (أدهم) ؟!.. لست أعتقد أن الأمر سيعنينا كثيرًا ، حتى ولو لقيت مصرعها .

أجابتها (السنيورا) فى صرامة ، وهى تتجه إلى الجناح الطبى :

- ألم أقل لك : إن جميع من حولى أغبياء ؟!.. لماذا أحضرناها إلى هنا إذن ، وتجشّمنا كل هذا الجهد ، وأنفقنا كل هذا المال ، لو أن أمرها لا يعنينا ؟

هتفت المساعدة فى دهشة :

- ولكنها رفيقة خصمك اللدود .

أكملت (السنيورا) فى صرامة :

- والمخلوق الوحيد ، فى العالم أجمع ، الذى لن يتردّد فى التضحية بحياته من أجله .

قالت المساعدة ، وهما يعبران بوّابة الجناح الطبى :

- إنه يعلم أنها فى قبضتك ، وهذا يكفى .. من أدراه ما إذا كانت حية أو ميتة ؟!

أجابتها فى حدة :

- ومن أدراك أنت أننا لن نحتاج إليها على قيد الحياة ، فى لحظة ما ؟!.. من أدراك أننا لن نضطر لمقايضة حياتها بحياتنا مثلاً ؟!.. ألن يكون من المحتم عندئذ أن نثبت له أنها مازالت حية ترزق .

غمغمت المساعدة فى استسلام :

- بالطبع يا سنيورا .. بالطبع .. أنت بعيدة النظر بالفعل .

دلفا معًا ، فى هذه اللحظة ، إلى الجناح الطبى ، والتفت إليهما الطبيب والممرضة فى توتر ملحوظ ، ولاذت الأخيرة بصمت خائف ، فى حين عدّل الطبيب وضع منظاره الطبى على عينيه ، وهو يقول :

- معذرة يا سنيورا ، ولكن الأمر بلغ مرحلة شديدة الحرج بالفعل .

سألته فى صرامة :

- ماذا حدث بالضبط ؟!

أشار إلى (منى) ، الغارقة فى غيبوبتها ، وهو يجيب :

- صحة المريضة فى تدهور مستمر ، منذ الصباح الباكر .

انعقد حاجبا (السنيورا) ، وهى تسأله :

- لماذا ؟!.. لقد جهّزت لك حجرة عناية مركزة ، توازى مثيلاتها فى أحدث المستشفيات الأمريكية .

أشار بسبابته ، قائلاً :

- لا شأن للتجهيزات بتدهور صحتها يا سنيورا .. إنها تبدو كما لو أنها قد فقدت الرغبة فى الحياة .

هتفت مستنكرة :

- فقدت ماذا ؟!.. إننا نتحدث عن امرأة فاقدة الوعى يا رجل .

أومأ برأسه إيجابًا ، قبل أن يقول فى حزم :

- هذا لا يمنع أن تتبقى داخلها إرادة الحياة ، فمخها لا يزال حيًا ، ونشاطه لا يمكن أن يتوقف لحظة واحدة ، حتى وإن فقدت إدراكها الواعى مؤقتًا .

التقى حاجباها بشدة أكثر ، وبدت عليها علامات عدم التصديق بضع لحظات ، قبل أن تقول فى صرامة :

- اسمع يا رجل .. إننى أحترم خبرتك ودراساتك ، ولكننى أرفض تصديق هذه الخزعبلات .. قل لى ما الذى تحتاج إليه بالضبط ، وسأحضره لك على الفور .

تنهد الرجل فى أسف ، وهو يشير إلى ما حوله ، قائلاً :

- لدينا هنا كل ما نحتاج إليه ، من الناحية الطبية ، ولكن المكان نفسه لا يناسب المريضة .. إنها ترفضه .

غمغمت المساعدة فى دهشة :

- ترفضه ؟!

أما (السنيورا) ، فقد انفجرت ضاحكة على نحو ساخر عجيب ، قبل أن تدفع الطبيب بسبابتها فى صدره ، قائلة :

- خدعة طريفة أيها الطبيب ، ولكنها لن تنطلى علىَّ قط .

تراجعت الممرضة فى خوف ، فى حين ارتفع حاجبا الطبيب ، وهو يقول فى دهشة :

- خدعة ؟!

صاحت به (السنيورا) فى غضب صارم :

- نعم أيها الذكى .. خدعة سخيفة لإقناعى بإخراجكم من هنا .. كلا أيها العبقرى .. لن يغادر أحد القصر ، حتى آمر أنا بهذا .. سترعى مع ممرضتك المريضة هنا ، فى هذا المكان ، وسنحضر لكما كل ما تحتاجان إليه ، من أدوية ، أو عقاقير ، أو أجهزة حديثة ، وهذه كلمتى الأخيرة ، ولن أقبل أية مناقشة بعدها .. هل تفهم ؟

قالتها ، واستدارت تغادر المكان فى خطوات صارمة حازمة ، فى حين انعقد حاجبا الطبيب فى شدة ، وانتظر حتى أصبحت خارج الجناح الطبى تماما ، ثم التفت إلى ممرضته ، قائلا :

- تلك الحقيرة تتصوَّر أننا نخدعها .

ارتجفت شفتا الممرضة فى خوف ، دون أن تنبس ببنت شفة ، فى حين أدار هو عينيه إلى (منى) ، واستطرد مشفقًا :

- ولكن صحة هذه المسكينة تتدهور بالفعل .

نطقها ، وهو يتطلَّع إلى وجه (منى) ، الذى أخذ يزداد شحوبًا ، معلنًا أن حالتها الصحية تتدهور أكثر ، منذرة بأن النهاية صارت قريبة ..

وسريعة ..

وحتمية ..

* * *

من سوء حظ القاتل المحترف (آلفريد جاكسون) الذى يكمن فى مدخل البناية ، لاصطياد (جيهان) و(أدهم) ، أن هذا الأخير لم تكن لديه ثانية واحدة يضيعها ، وهو فى طريقه للحاق بـ (توماس) ، قبل أن يبادر بالفرار ..

بل ولم يكن لديه أدنى استعداد لإضاعة هذه الثانية ..

ففى الظروف العادية يكتفى (أدهم) بالإطاحة بسلاح خصمه ، ثم يشتبك معه فى قتال يدوى سريع ؛ نظرًا لكراهيته الغريزية للقتل ..


إنه لم يكد يلمح صورة (جاكسون) المنعكسة على اللوحة المعدنية ، حتى دفع (جيهان) جانبًا ، ودار عقبيه بمسدسه ..

أما فى هذه الظروف ، فقد كانت كل ثانية تعنى الكثير ..

تعنى الفارق الرهيب ، بين الإيقاع بـ (توماس) ، والحصول منه على المعلومات الخاصة بالسنيورا ، مما يساعد على التوصّل إليها وإنقاذ (منى) ، أو نجاح القاتل فى الفرار ، وضياع فرصة نادرة ، قد لا يجود القدر بمثلها قط ..

باختصار ، فى هذه اللحظة بالتحديد ، كانت حياة (جاكسون) تساوى حياة (منى) ..

ولم يتردّد (أدهم) فى الاختيار ..

إنه لم يكد يلمح صورة (جاكسون) المنعكسة على اللوحة المعدنية ، حتى دفع (جيهان) جانبًا ، ودار على عقبيه بمسدسه ، صائحًا :

- احترسى .

ضغط (ألفريد جاكسون) زناد مدفعه الآلى الصغير ، فى تلك اللحظة ، وهو يصوّب فوهته نحو (أدهم) ، ولكن لم تكد الرصاصات تنطلق ، حتى كان الهدف فى موقع مختلف تمامًا ..

لقد وثب (أدهم) بدوره جانبًا ، وألقى نفسه أرضًا ، وتدحرج فى مرونة مدهشة ، قبل أن يطلق رصاص مسدسه نحو القاتل ..

وأمام عينى (جيهان) ، أصابت رصاصات (أدهم) الثلاث صدر (جاكسون) ، فاقتلعته من مكانه ، وألقت به مترين إلى الخلف ، قبل أن يرتطم بالجدار ، ويسقط على وجهه فى عنف ..

ولم ينتظر (أدهم) حتى يستعيد (جاكسون) وعيه ، أو ينهض من سقطته ، وإنما هبَّ واقفًا على قدميه ، وانطلق يعدو بكل سرعته ؛ للحاق بـ (توماس) ، وهو يهتف بـ (جيهان) :

- إنه لك .

نهضت (جيهان) فى سرعة ، واتجهت نحو (جاكسون) فى خطوات سريعة ، وهى تقول :

- لا عليك .. امض فى سبيلك .. وفقك الله .

كان (جاكسون) ملقى على وجهه ، وقد همدت حركته تمامًا ، فانحنت (جيهان) لتلتقط مدفعه الآلى الصغير ، وهى تتمتم :

- من الواضح أنك سيئ الحظ يا رجل .. إننى لم أشاهده يطلق النار مباشرة إلا فيما ندر .

كانت يدها تمتد نحو المدفع ، عندما دبَّ النشاط بغتة فى جسد (جاكسون) وقفزت يده تقبض على معصمها ، وهو يقول فى صرامة :

- ربما لست سيئ الحظ إلى هذا الحد .

ثم وثب واقفًا على قدميه فى نشاط مدهش وخفة مبهرة ، وأدار معصم (جيهان) فى براعة ، فدار جسدها كله معه ، وسقطت على ظهرها أرضًا ، والرجل يضيف فى شراسة :

- ربما أنتِ السيئة الحظ .

كان السقوط عنيفًا مؤلمًا ، فتأوهت فى عنف ، ثم دفعت جسدها دفعًا ؛ لتنهض واقفة على قدميها ، وهو يستطرد :

- زميلك يجيد التصويب وإطلاق النار حتمًا ، ولكنه لم يضع فى اعتباره أننى أرتدى درعًا واقية من الرصاص .

اتخذت وضعًا قتاليًا ، وهى تقول فى صرامة :

- سأذكره فى المرة القادمة ، ليطلق النار على الرءوس مباشرة .

تطلَّع إلى وقفتها القتالية فى استهتار ، قائلاً :

- المرة القادمة ؟!.. يا لك من متفائلة !.. بالنسبة لك ، وبعد أن أنتهى منك ، لن تكون هناك مرة قادمة .

قفزت تركله بقدمها فى مهارة ، هاتفة :

- لا تكن واثقًا هكذا ..

مال فى مرونة ، ودار على عقبيه فى خفة مدهشة ، وثنى جذعه كقضيب من المطاط اللين ، قبل أن يقبض على قدمها ، ويدفعها ، إلى الأمام فى عنف ، قائلاً :

- معذرة .. نسيت أن أقدم نفسى .. أنا (آلفريد جاكسون) .. واحد من أبرع ثلاثة خبراء فى القتال اليدوى .

سقطت (جيهان) على ظهرها فى عنف ، فى حين شدّ هو قامته ، مستطردًا :

- وربما كنت أبرعهم على الإطلاق .

نهضت فى سرعة ، على الرغم من الآلام ، التى انتشرت فى جسدها كله ، وهى تقول :

- فليكن أيها المغرور .. أثبت هذا .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

- بكل سرور .

اتخذت مرة أخرى وقفة قتالية ، فاتسعت ابتسامته الساخرة ، وتابع :

- أنت لا تتعلمين قط .

قفزت نحوه فى خفة ، هاتفة :

- من يدرى ؟

أمسك قدمها التى حاولت ركل وجهه فى مهارة ، ولكنها دارت بجسدها كله فى خفة مدهشة ، وركلت أنفه بالقدم الأخرى ، مستطردة فى حزم :

- ربما يخدعك مظهرى .

تراجع (جاكسون) ، وارتطم بالجدار ، فانقضت عليه ثانية ، قبل أن يستعيد توازنه ، وهوت بقبضتها على أنفه ، وهى تتابع ساخرة :

- فتتصوَّر أننى فتاة رقيقة بسيطة .

ثم لكمته ثانية فى معدته ، مضيفة :

- كما يفعل الأغبياء .

أمسك قبضتها هذه المرة فى سرعة ، قبل أن تبلغ معدته ، وتطلَّع إلى عينيها مباشرة بنظرة تفيض بالبغض والغضب ، وهو يقول :

- السؤال هو : من يحتلّ قائمة الأغبياء .. أنا أم أنت ؟!

ودار بجسده كله دفعة واحدة ، دون أن يترك قبضتها ، ففوجئت بجسدها كله يدور فى الاتجاه المعاكس ، ويندفع نحو الجدار ، حتى ارتطمت به فى عنف ، وسقطت على وجهها أرضًا ..

وامتلأت نفسها بالغضب ، لعجزها عن التصدّى له ، وسرت فى عروقها موجة من الثورة والتحدى ، فهتفت :

- أيها الوغد .

ثم هبت واقفة ، و ...

وانعقد حاجباها فى شدة ..

لقد نهضت لتجده أمامها ، على بعد ثلاثة أمتار فحسب ، وقد استعاد مدفعه الآلى الصغير ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يصوبه إليها ، قائلاً :

- قولى : وداعًا لعالم الأغبياء هذا .

ومع آخر حروف كلماته ، ضغط زناد المدفع الصغير ..

وانطلقت الرصاصات القاتلة ..

وبلا رحمة ..

* * *

من المؤكد أن أى إنسان عادى ، لم يكن بإمكانه أبدًا أن يعدو بتلك السرعة المدهشة ، التى انطلق بها (أدهم) ، نحو الإستاد الأوليمبى ..

إنها لم تكن بالنسبة إليه مسألة إلقاء القبض على قاتل محترف ، هدد حياته أكثر من مرة ..

بل كانت مسألة حياة أو موت ..

والأدهى أنها لا تخص حياته وموته هو ، وإنما تتعلق بحياة وموت أقرب أهل الأرض إلى قلبه ..

(منى) ..

(منى توفيق) ..

من أجلها ، كان بإمكانه أن يتحدى المستحيل ، وأن يحطم كل الحواجز والقواعد دون لمحة واحدة من التردد أو الخوف ..

وفى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت أبواق سيارات الشرطة والإسعاف والإطفاء ، التى تتجه نحو البناية ، التى أصابها صاروخ (ويلى) ، وصل إلى المدخل الخلفى للإستاد ..

كانت سيارة (توماس) لا تزال فى موضعها ، والمدخل الخلفى للإستاد مفتوح على مصراعيه ، وعلى الرغم من هذا ، فقد أمسك (أدهم) مسدسه فى قوة ، وتجاوز البوابة فى حذر ، متقدمًا عبر الممر المظلم الطويل إلى مدرجات المتفرجين ..

كان المكان خاليًا صامتًا ، على نحو شعر معه بمزيد من القلق ، فتقدم نحو الباب الصغير ، الذى يقود إلى ساحة الاستاد ، ودفعه فى رفق ، وألقى نظرة حذرة على بقايا الهليوكوبتر ، التى سقطت فى منتصف الملعب تقريبًا ، وتناثرت منها الشظايا المشتعلة فى مساحة واسعة ، فى حين ترتفع ألسنة لهب قليلة من حطامها الرئيسى ..

وعلى بعد خطوات قليلة من الحطام الرئيسى ، بدت جثة (ويلى) ، الذى لا يزال متشبثا بالمدفع المحمول ، فى حين لم يكن هناك أدنى أثر لـ (توماس كلارك) ..

ومال (أدهم) برأسه داخل الملعب فى حذر ، وهو يدير عينيه بحثًا عنه ، و ...

وفجأة ، انطلقت رصاصة ..

لم تأت من داخل الملعب ، كما توقَّع (أدهم) ، وإنما من خلفه ..

من الممر الطويل ، الذى يقود إلى الملعب ..

واخترقت ذراعه ..

اخترقته كعمود من النار ، انطلقت له من أعماقه صرخة ألم ، احتجزتها شفتاه ، ولم تسمح لها بتجاوز فمه ، قبل أن تخرج من الجانب الآخر ، وترتطم بالباب المعدنى برنين مسموع ، ثم تسقط تحت قدميه ..

وفى سرعة مدهشة ، وعلى الرغم من الدماء التى تغرق ذراعه ، استدار (أدهم) يواجه (توماس) ، الذى هتف ، وهو يطلق رصاصته الثانية :

ـ مفاجأة !.. أليس كذلك ؟!.. لقد خرجت من الباب الأمامى ، وعدت لأفاجئك .

تراجع (أدهم) فى سرعة ، متفاديًا رصاصة القاتل ،

إلا أن قدمه ارتطمت بحاجز خشبى صغير ، يمتدّ عبر الأرضية ، ففقد توازنه ، وارتطم بباب الملعب ، وسقط عبره إلى داخل ساحة المباريات الكبيرة ، فى نفس اللحظة التى أصابت فيها رصاصة (توماس) مسدسه ، وأطاحت به من يده بعيدًا ، داخل ذلك الممر الطويل ..

كانت مصادفة عجيبة ، ولكنها جرّدته من سلاحه ، فى مواجهة خصم قاس غاضب ثائر لا يرحم ..

ولم يكد (توماس) يلمح المسدس ، الذى سقط من يد (أدهم) ، حتى انطلق يعدو نحو هذا الأخير ، ويطلق رصاصاته فى سخاء ، صارخًا :

ـ خسرت يا (أدهم) .. خسرت هذه المرة أيها المصرى .

تراجع (أدهم) زحفًا بسرعة ، إلى ساحة المباريات ، ودفع الباب المعدنى بقدمه ، وتركه يصدّ عنه رصاصات (توماس) ، التى تردّد صداها فى المكان كله ، مع رنين ارتطامها بالباب ، وهذا الأخير يصرخ :

ـ سأقتلك أيها المصرى .. سأقتلك ، ولو كان هذا آخر ما أفعله ، فى حياتى كلها .

ولم يكد يصل إلى الباب المغلق ، حتى دفعه بقدمه فى قوة ، ووثب داخل الساحة ..

وانعقد حاجباه فى توتر بالغ ..

لقد بدت أمامه ساحة الإستاد كلها ، يتوسطها حطام الهليوكوبتر ، الذى خبت نيرانه تقريبًا ، وجثة (ويلى) ، ومدفعه المحمول ، أما فيما عدا هذا ، فقد بدت الساحة خالية تمامًا ..

ولم يكن هناك أدنى أثر لـ (أدهم صبرى) ..

وانعقد حاجبا (توماس) فى توتر بالغ ، وهو يغمغم :

ـ مستحيل !.. لا يمكن أن يكون هناك مكان لـ ...

قبل أن يتمَّ عبارته ، انقضَّ عليه (أدهم) بغتة كالصاعقة ..

كان قد تعلَّق بالإطار العلوى للباب المعدنى ، على الرغم من إصابة ذراعه ، وانتظر حتى أصبح (توماس) تحته مباشرة ، ثم هاجمه ..

وقبل أن يستوعب القاتل المفاجأة ، كانت يد (أدهم) تطيح بمسدسه بضربةٍ من حافة يده اليسرى المصابة ، فى حين انطلقت قبضته اليمنى كالقنبلة فى فكه ، بلكمة أطاحت به مترين إلى الخلف ، وأسقطته أرضًا فى عنف ..

وعلى الرغم من أن (توماس) قد استعاد توازنه بسرعة مدهشة ، تليق بتاريخه كمقاتل محترف قديم ، إلا أنه لم يكد يقف على قدميه ، حتى وجد عنقه تحت

ساعد (أدهم) ، ومسدسه فى قبضة هذا الأخير ، وفوهته الباردة ملتصقة بصدغه ، وصوت (أدهم) الصارم الساخر يقول :

ـ كم يروق لى أن التقينا وجهًا لوجه أخيرًا أيها الوغد .

كان (توماس) يريد أن يقول شيئًا ..

أى شىء ..

ولكن حلقه غصَّ بقدر هائل من المرارة ، لوقوعه فى قبضة (أدهم) على هذا النحو ، فارتجفت شفتاه ، وعضَّ إحداهما بأسنانه فى قوة ، حتى أدماها بالفعل ، قبل أن يسأله (أدهم) فى صرامة :

ـ أين تقيم (السنيورا) ؟

تجاوز (توماس) غصته فى صعوبة ، وهو يقول فى حنق :

ـ هل تصوَّرت أننى سأخبرك ؟!.. ملفك يؤكِّد أنك لا تقتل بسهولة .

جذب (أدهم) إبرة المسدس ، وهو يجيب فى صرامة :

ـ أخشى أنه ليس أمامك خيار آخر أيها الوغد .. من الواضح أن لديك معلومات كافية عنى ، ولا ريب فى أنك تدرك إذن قوة الرابطة ، التى تربطنى بزميلتى التى اختطفتها (السنيورا) ، وتحتجزها فى وكرها ..

وبقليل من الذكاء ستدرك أننى مستعد لتجاوز القواعد فى سبيل استعادتها .

وضغط فوهة المسدس الباردة بصدغ الرجل أكثر ، وهو يضيف فى قسوة :

- كل القواعد .

أدرك (توماس) بحدسه أن (أدهم) جاد بالفعل فى قوله هذا ، وأنه لن يتردد فى تدمير العالم أجمع ، لو اقتضى الأمر ، حتى يستعيد زميلته المختطفة ، ولكنه قال فى عصبية :

- وما الذى سأحصل عليه فى المقابل ؟!

أجابه (أدهم) فى صرامة شديدة :

- سأتركك تحيا ، وهذا مقابل كاف ، لو أنك تحسن عقد الصفقات .

تضاعفت عصبية (توماس) ، وهو يقول :

- كلا .. ليس مقابلا كافيا .. أنت تريد (السنيورا) ، وهذا مطلب شديد الضخامة ، ولابد أن ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، انطلقت من حلقه بغتة شهقة قوية ، وانتفض جسده فى عنف ، وجحظت عيناه فى شدة ، فى حين شعر (أدهم) به يرتطم بصدره قبل أن يتراخى تمامًا ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وأمال بصره

إلى جبهة (توماس) ، التى ظهر فى منتصفها ثقب صغير ، سال منه خيط من الدم القرمزى ، بين عينيه الجاحظتين ، ثم رفع عينيه إلى أعلى ، والتقى حاجباه فى غضب ، مع مرأى (بل هايدن) ، الذى يقف وسط المدرجات ، مصوبًا بندقيته مرة ثانية ..

وبكل الغضب فى أعماقه ، هتف (أدهم) :

- أيها الوغد .

أطلق (هايدن) رصاصة ثانية ، وثالثة ، ورابعة ، مستهدفًا (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير قبض على سترة (توماس) بكل قوته ، ودفع جثة هذا الأخير أمامه ، ليصنع منها درعًا تقيه رصاصات (هايدن) وهو يندفع نحوه ويُطلق عليه رصاصات مسدسه بدوره ..

وتلقَّت جثة (توماس) كل الرصاصات ، فى حين اضطرب (هايدن) فى شدة ، ورصاصات (أدهم) تتناثر على مسافة سنتيمترات منه ، وتوشك على إصابته ، فتراجع هاتفًا :

- اللعنة ..

وانطلق يعدو محاولاً الفرار من المكان ..

وفى حزم ، ترك (أدهم) جثة (توماس) تسقط أرضًا ، وانطلق خلف (هايدن) بكل قوته ..

وكانت مطاردة عجيبة بالفعل ، وسط مدرجات الاستاد ..

وعلى الرغم من أن (بل هايدن) فاز يومًا بالجائزة الأولى فى الدورة الرياضية ، التى تقام فى بلاته لقفز الحواجز ، إلا أنه شعر ، وهو يحاول الفرار من (أدهم) ، وكأنه عجوز كسيح ، يزحف على ساقين صناعيتين ..

لقد كان يجرى بأقصى سرعته ، ويقفز فوق المدرجات، واحدًا بعد الآخر ، وعلى الرغم من هذا ، فقد راحت المسافة بينه وبين (أدهم) تتضاءل فى سرعة ، وكأن (أدهم) ، آلة بشرية ، لا تجيد شيئًا فى الدنيا كلها أفضل من العدو وقفز الحواجز ..

وأخيرًا شعر (هايدن) أن محاولة الفرار لم تعد مجدية ، فتوقَّف بغتة ، واستدار يواجه (أدهم) ، ويصوِّب إليه بندقيته ، هاتفًا :

ـ توقَّف عن مطاردتى ، وإلا ..

ولكن استدارته جاءت بعد فوات الأوان ، فقد وجد نفسه وجهًا لوجه أمام (أدهم) ، الذى ركل البندقية من يده ، قائلاً:

ـ وإلا ماذا أيها الوغد ؟

حاول (هايدن) أن يلكم (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير تلقَّى قبضته فى راحته ، ثم أمسك معصمه ، ولوى ذراعه خلف ظهره فى سرعة ، وضغطها بقسوة شديدة ، وهو يقول فى غضب :

ـ (السنيورا) هى التى دفعتك لقتله .. أليس كذلك ؟

صرخ (هايدن) فى ألم ، وهو يقول :

ـ اتركنى .. إنك تؤلمنى بشدة .

كرَّر (أدهم) فى غضب مخيف :

ـ أليس كذلك ؟!

هتف (هايدن) فى ألم شديد :

ـ بلى .. إنها (السنيورا) .

صاح به (أدهم) فى توتر :

ـ أين هى ؟!.. أين (السنيورا) ؟!

صاح (هايدن) :

ـ لست أدرى .. أقسم لك لست أدرى .. إننى لم ألتق بها قط .. كل مفاوضاتنا تمت عبر الهاتف .. إننى لا أعرف حتى كيف تبدو .

سأله (أدهم) فى قسوة :

ـ كيف تلقيت أجرك إذن ؟

أجابه فى ألم ، وهو ينتزع شيئًا ما من حزامه :

ـ بتحويل بنكى .. النقود تم تحويلها إلى حسابى فى البنك ، و ..

وقبل أن يتمّ عبارته ، اندفعت يده تغرس نصل مدية صغيرة فى فخذ (أدهم) اليمنى ، وهو يصرخ :

ـ وسأحيا لأنفق آخر سنت منها .

قالها ، وهو يفلت من ذراع (أدهم) ، ويعدو مبتعدًا ، نحو المدخل الأمامى للإستاد ، فانعقد حاجبا (أدهم) فى

صرامة وصوّب مسدسه إلى ساق (هايدن) ، وهو يقول :
ـ فليكن أيها الوغد .. أنت أردت هذا .
وقبل أن يضغط زناد المسدس ، لمح من طرف عينه شيئًا ينطلق نحوه عبر المدرجات ، فوثب إلى الخلف فى خفة ، ورأى صاروخًا صغيرًا يتجاوزه ، ويواصل طريقه إلى سور الاستاد ، لينفجر عنده فى عنف ..
وفى دهشة وسرعة ، أدار (أدهم) عينيه إلى المصدر الذى انطلق منه ذلك الصاروخ الصغير ، والتقى حاجباه فى شدة ، وهو يتطلّع إلى ما بدا له أشبه برائد فضاء من عالم آخر ، يصوّب إليه سلاحًا أشبه بقاذفة اللهب ، وهو يقول بصوت عميق ، يأتى من خلف خوذته الكبيرة :
ـ أخيرًا التقينا أيها المصرى ..
وكان هذا القول إيذانًا ببدء مواجهة من نوع جديد ، فى تاريخ (أدهم صبرى) ..
مواجهة مع ترسانة أسلحة مدمجة ، تحمل اسم مشروع (السوبرمان) ..
ومن المؤكد أنها ستكون مواجهة فريدة .. ورهيبة .

* * *

انتهى الجزء الثالث بحمد الله
ويليه الجزء الرابع والأخير بإذن الله
(قبضة الشر)

الفخ

- كيف يواجه (ادهم) و (جيهان) اتحاد القتلة ، فى جزيرة تمثال الحرية ؟!
- ما الاجراءات التى اتخذتها السنيورا ، لمواجهة تطورات الموقف ، واستعادة سيطرتها عليه ؟!
- ترى هل ينجح (ادهم صبرى) فى التصدى لخصومه وتحقيق النصر ، ام يلقى حتفه فى (الفخ) ؟!
- اقرا التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل) .



العدد القادم : قبضة النمر

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

108

الثمن فى مصر ٢٠٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم